الثقافة

فكرية جامعة تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

الادارة والتحرير :

دمشق ـ شارع الأرجنتين

هاتف ٢٢٩٩٨٤

ص.ب ٢٥٧٠

REVUE "AL - SAKAFA,

PROPRIETAIRE — DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS (R. A. S.)

B. P. 2570 — Tel. 229984

تموز

١٩٨١



التواصل الثقافي

وانه لمن دواعي الغبطة والسرور ان نجد المجلات العربية وعلى اختلاف مصادرها واتجاهاتها ، لم تعد مقتصرة على أدباء القطر الذي تظهر فيه ، فقد عادت اليوم ناشطة لتجمع الاقلام العربية على اختلاف مواطنها واتجاهاتها ونزعاتها . ذلك ما يملأ النفوس أملا بصدق الاتجاه الصحيح نحو وحدة تضم هذه الاقطار كلها .

وان نظرة سريعة الى هذه المجلات لترينا كيف ان القائمين عليها يعملون جاهدين مخلصين لتثبيت أواصر اللقاءات العربية بين سائر الكتاب . وان دل ذلك على شيء فانما يدل على مدى ما يجمع بين افراد هذه الامة من ترابط وتواعد بلقاء اكثر شمولا وحياة اكثر تقاربا .

تلك هي رسالات المجلات الادبية اليوم ، وهذه اهدافها وذلك ما تصبو اليه مجلتنا وتتمناه . فالشكر والعرفان بالجميل لقادة الفكر هؤلاء ممن وحدوا اهدافهم وعملوا على مثل هذه اللقاءات على صفحات مجلاتهم ودورياتهم .

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

دراسة نموذج أدبي

دراسة جمالية

مازن الوعر

مدخل :

لقد حاولنا دراسة النص الشعري الذي سوف نثبته بعد قليل دراسة جمالية لكي نتعرف على فلسفة الاثر الفني وفلسفة صاحب الاثر .. وقد كنا بعيدين عن الطريقة الادبية القديمة التي تجمد انسراح القارىء المتذوق وتجعله يخضع لقوانين أبعد عن المحسوسات والمعقولات .

هذه الدراسة الجمالية تذيب الفن بالادب لتخرج بدراسات جمالية لصاحب الاثر الفني (الشاعر) وبدراسات جمالية للاثر الفني نفسه .

انها طريقة تحقق المقولة النقدية التي تذهب الى أن النقد عملية ابداعية تكشف اشياء جديدة في العمل الفني ، فاذا كان الشاعر والناثر يمران بمرحلتين من الابداع الفني فان الناقد يمر بثلاث مراحل ، الشاعر والناثر يتطلعان الى الطبيعة ليترجما شيئا نثرا كان أم شعرا والناقد يتطلع الى الطبيعة وينظر الى الشاعر والناثر في الوقت نفسه ومن ثم كان على الناقد أن يبدع شيئا جديدا ويكتشف اشياء جديدة غابت عن ذهن الفنان سواء بنظرته للطبيعة أو بعمله الابداعي ومن هذا يكون النقد قد حقق مهمته الاساسية .

النص الذي سوف ندرسه للشاعر العباسي بشار ابن برد .. وقد قاله في احدى مغامراته الغزلية . ويتألف من تسع وخمسين بيتا سوف نثبته بعد قليل .

مضمون هذا النص يبدأ من الكوامن التي دفعت بشار بن برد الى زيارة صاحبته وما اجتاز في طريقه من الصعاب والطرق الوعرة وينتهي بتحقيق الهدف الذي ركب من أجله بشار . يسير الرجل بادىء ذي بدء الى تعجب جارته منه وكيف لاحظت ذلك الاندفاع العاطفي القوي الذي يحاول ان يندفع به الى صاحبته سعدى .. ولكن سرعان ما يعلل هذا الاندفاع العاطفي نحو حبيبته سعدى فيصف هيامه بها ويصف الدغدغة العاطفية التي كانت تنبهه الى زيارة الحبيبة ، ولكن الحبيبة تشكو البعد والفراق وتسأله عن هذا الصبر القوي الذي يحجبه عن رؤيتها ، أما بشار فلا يريد أن ينزلق في مهاوي الاعداء فيشرح لها ان الذي منعه من زيارتها هؤلاء المتربصون الذين لا هم لهم سوى مراقبة الناس .

وهنا يبدأ بشار وصفه لما جرى معه وكيف أرسلت صاحبته وصيفتها حين ادلهم الليل .. وكان ما كان من حبك للمعلية الفنية .. فيلتقيان ويشكو كل آلامه واحزانه وكيف انات قلبه .. وتبدأ المعاتبة بينهما فيشرح لها بشار كيف اجتاز الطرق

الوعرة توصلا اليها وما ان انتهيا من المعاتبة والحديث حتى يبدأ اللهو في ليلة صافية الا ان الصبح سرعان ما ينبلج لان الدهر اذا غفل بعض الشيء فلا يستمر في هذه الغفلة .. لا بد آخذ بثأره منهما فاذا هي تخاف وتتوجس وعينها تسكب الدمع الذي هو كاللؤلؤ المنثور من سلكه فقام من عندها ولم يقض حاجته سوى انه حدثها ولمس يديها .

هذا هو محتوى الرحلة الغزلية التي قام بها بشار .. والحقيقة انه ابدع في وصف خلوات الحب ومشاكاة المتحابين وتوسط الرسل ومراقبة الرقباء وعذل العذال بما لم يسبقه الى تفصيل التوصيف فيه احد من الشعراء فنحن نجد خمسين بيتا في صفة زيارته لمحبوبته سعدى .. اما الذي يلفت انتباهنا فعلا أن العمل الفني كان كله يندر جتحت موضوع واحد هو الغزل وقد اقتصرت القصيدة كلها عليه .

عهدنا بالقصيدة العربية تبدأ بذكر الديار والدمن والآثار ثم يصل الشاعر ذلك بالنسيب لانه قريب من النفوس لائط بالقلوب ثم يوصف الراحلة وبعد ذلك يأتي الى موضوعه الاصلي سواء أكان هجاء أم فخرا أم مديحا وما أشبه ذلك من الاغراض (١) .

هل يعني ان بشارا حقق اكبر ظاهرة فنية في تطور القصيدة العربية ؟ هل نستطيع ان نقول ان بشارا صب تجاربه كلها في هذا الموضوع بدلا من ان يوزعها ـ شأن الشعراء الجاهليين والاسلاميين ـ في مقدمات غزلهم وموضوعهم الرئيسي(٢) .

لقد حقق القصيد العربي تطورا منذ ردح من الزمن بعيد عن عصر بشار .. وما الغول الماجن والغزل العذري في العصر الاسلامي سوى صورة من صور التطور الذي حققه الشعر العربي في ذلك العصر، فكل قصائد الغزليين العذريين والعمريين على الاغلب لا تستهدف سوى غرض واحد هو الغزل ..

قال بشار بن برد في احدى مغامراته الغزلية(٣)

تعجبت جارتي مني وقد رقدت
عني العيون وبات الهم محتشدا

قالت لسعدى واخرى من مناصفها
ما هاج هذا وقد خيلته هجدا

فقالت فقلت لها ما زلت أكتمكم
وساوس الحب حتى ضاف فاعتمدا

أرقت من خلسة باتت وساوسها
تسري علي وباتت دارها صددا

حوراء كانت هوى نفسي ومنيتها
لو قرب الدهر من لقيانها أمدا

ولو تكلم محمولا جنازته
قد مات بالامس أو ترثي له خلدا

فالقلب صب معنى حين يذكرها
والعين عبرى تقاسي الهم والسهدا

ما ان رأيت كمشغوف بحبكمو
يبقى ولا مثلكم يعتل لو رقدا

وعدتني ثم لم توفي بموعدة
فكنت كالمزن لم يمطر وقد رعدا

اذا نأيت دعاني منكم نكر
فان دنوت منعت النائل النكدا

بليت والنأي متروك على حزن
ولا أرى القلب الا زادني بعدا

أرعى من العهد والميثاق حقهما
لا يصلح الحر الا حفظ ما وعدا

اني حلفت يمينا غير كاذبة
عند المقام ولم أقرب له فندا

لو خير القلب من يمشي على قدم
لاختار سعدى ولم يعدل بها أحدا

لو ساعفتنا وصد الناس كلهمو
لما وجدت لفقد الناس مفتقدا

تركتني مستهام القلب في شغل
لهفان لا والدا أهوى ولا ولدا

أخا هموم وأحزان تأوبني
فأخشى اليك اني ميت كمدا

كأنني عابد من لب رؤيتها
ان المحب تراه مثل من عبدا

لا أرفع الطرف في النادي اذا نطقوا
ولا أزال مكبا بينهم أبدا

بهم نفس معناة بذكركمو
اذا أقول خبا مشبوبة وقدا

والقلب عندك مأخـوذ مسامعـه
فلا يروعـه من قام أو قعـدا

أبليت جسمي فنفسي غير آمنة
أن يدرك الروح ما قد خامر الجسدا

ألا تحرجت مما قد رميت بـه
وسط النساء لمن أفنى وقد رقدا

لو كان ذا قوة عفت أجلادته
وقد أزيد على ذي قوة جلدا

لكن في الحب أسقاما منهلة
لذي الحلاوة حتى يجهد الكبدا

فلن أكون حديدا في مقالتكم
كما خلقت ولا صوانة صلدا

قالت أراك تعزى عن زيارتنا
وقد يزور بيوت الحي من وجدا

فقلت : اني عداني ان أزوركمو
قوم يبيتون من بغضائنا رصدا

مغفلون عن الخيرات عندهمو
من فطنة الشر علم لم يكن رشدا

ما ضر أهلك يا سعدى فقد تهمو
من عاشق زار لو قالوا له سددا

ان التهجم عدى عن زياتكم
ممن علقت وأمسى ذاك قد جهدا

مخلأبات يرعى كل بارقة
لو كان يصفو له ورد لقد وردا

فأرسلت حين كل الطرف انهموا
قد نوموا فأتنا ان كنت مفتأدا

ووطنت تربها الحولاء ليلتها
قبل الرسالة حتى أصبحت عضدا

ولم أدع زينة حتى لبست لها
من الجديد لكي ألم بهن سدا

في ليلة خلف شهر الصوم ناقصة
تسعا وعشرين قد أحصيتها عددا

حتى ارتقيت اليها في مشيدة
دون السماء تناغى ظلها صعدا

لما رأت لمحة مني مرعشة
خضرا وحمرا وصفرا بينها جددا

قالت لترب لها كانت موطنة
جاء المرعث فاثني عندك الوسدا

وأحسني حين تلقيه تحيته
ولا تكوني اذا حدثتنا وتدا
خفي قريبا وعودي ان حاجتنا
دون القريبة في قلبين قد كمدا

طال التنائي فكل غير متَّرك
حتى ترى عاتبا منا ومصطردا

حتى التقينا فمن شكوى ومعتبة
نكرها لا نخاف العين والرصدا

غاب القذى فشربنا صفو ليلتنا
حبين نلهو ونخشى الواحد الصمدا

قالت فأنى بنفسي جئت مسترقا
من العدو تخطى الوء روالجددا

جور أتى بك أم قصد؟ فقلت لها
ما زلت أقصد لو تدنين من قصدا

لا تعجبي لاجتيابي الليل منسرقا
ما كنت قبلك رعديدا ولا بلدا

يا رب قائلة يوما لجارتها
ان المرعث همي غاب أو شهدا

صددت عنها فلم أدمن زيارتها
الى هواك فلم تجزي به صفدا

لما قضينا حديثا من معاتبة
وكاد يبرد هذا الشر أو بردا

جاءت بأزهر لم تنسج عمامته
اذا الزجاجة نادت كأسه سجدا

ريان كالريم خداه ومذبحه
ان لم يرع بسجود سامرا ركدا

نلهو اليه ونشكو بث أنفسنا
في سلوة وزوال الليل قد أفدا

حتى اذا طارق ثارت عداوته
بأول الصبح كانت صالحا فسدا

قامت تهاوى الى أهل تراقبهم
مشي البهير ترى في مشيه أودا
والعين تحدر دمعا جد واكفة
على مساقط دمع كان قد جمدا

كأنــــه لؤلؤ رثت معاقـــده
فانساب أولــه في السلــك فاطردا

وقمت لم أقض منهـا اذ خلوت بها
الا الحديث والا أن امنس يـــدا

حتى خرجت فكـان الدهـر منذحلا
بـين القرينين حـلالا لما عقـــدا

الاسس الحركية وجماليتها في العمل الفني :

الاساس الاول الذي سيطر على بشار خـــلال عمليته الفنية هو محاسن حبيبته فقـــد كان وصف محاسن الحبيبة جزءا لا يتجزأ من رحلته الغزليـة .. وقد اطال بشار الوقفة على هذه المحاسن ونلاحظ أن عنصر الزمن واضح في عمل بشار فقد آثر الليـل في هذه المغامرة ولم يصرح بحبه لليل على لسانه بل تكلم بشكل غير مباشر وذلك على لسان صاحبته التـي أرسلت له وصيفتها في الليل .. انه وقت خصيب عند بشار .. وهذا العنصر قد لون المغامرة الشعريـــة فأعطاها بعدا فنيا رائعا .

ويبدو لنا من خلال القصيدة ان الشخصيـــة الاصلية فيها هي شخصية بشار فأنت واجد منـــذ بداية النص حتى آخره تلك الشخصية التي تتحـرك هنا وهناك .. فلم يغب بشار من هذه المغامرة الغزلية سواء في بداية القصيدة أو في نهايتها .

الا أن بشارا ترك الفرصـــة سانحة لظهور بعض الشخصيات من حوله .. وتبدو لنا سعدى على المسرح لاول وهلة ولكنها لا تظهر بمفردها وانما تظهر ومعهـا وصيفاتها وجاراتها وهنا يستغل بشار الفرصـــة ليصف ألمه وعذابه لفراقها ويصف قلبه المعنى لاجلها وعينه العبرى التي تقاسي « الهم والسهدا » .

فاذا كان بشار الشخصية الرئيسية في العمـــل الفني ثم كانت بعد ذلك حبيبته سعدى ووصيفاتهـا فان قصة الحب والمغامرة الغزلية لتقتضي من بشـار عنصرا آخر يكمل القصة ويلون المغامرة من هنا لم ينس بشار دور الواشين والمتوصدين .. وهل كان بعـــده وجفاؤه عنها سوى نتيجة مباشرة لوجود هؤلاء المغفلين عن عمل الخير على حد تعبيره .!

على أن عنصر الرسالة وحاملها بارز في العمـــل الفني فهي قد أرسلت مع وصيفتها رسالة له ان تعال ان كنت مفتأدا .

فاذا كان عمر بن أبي ربيعة يتغزل في بعض الاحيان بهؤلاء الرسل(٤) فان بشارا لم يلجأ الى مثل هـــذا الغزل .. ونحن اذ نرى بشارا قد حبك العمليـــة الشعرية بتلك الاسس الحركية الدينامية وذلـــك ارهاصا لما سوف يحققه فانه لا شك منضاف الى هذه الاسس ذلك اللقاء الذي تم بعد الجفوة والذي تحقق بعد الغياب .. وهنا تتاح الفرصـــة لبشار ان يشكو لها آلامه ووجداناته وكذلك هي .

ويبدأ العتاب ونرى بشارا يفتن في حديث المعاتبة وينوع فيه ويشقق .. ومع اللقاء يكون اللهو وبشار في حديثه عن اللهو يتجه الى وصف مجلسهما ووصف ابريق الخمرة .. واذا كان بشار قد اتجه هذا الاتجاه المادي في وصف اللهو فان عمر بن أبي ربيعة قـــد اتجه في بعض الاحايين الى الحديث عن اللهـو مـــن الوجهة النفسية الخالصة(٥) .

ويأتي الانصراف نتيجة طبيعية للقـــاء .... ويلازم الانصـراف الحـديث عـن تبلج الصبح ذلك العـدو الذي كدر الصفو وانتقم من بشار وصاحبته .. غير اننا لا نرى بعد ذلـك موعـدا آخر مـن بشار يحدده لحبيبته كما نرى ذلك عند استاذه عمر بن أبي ربيعة الحقيقة ان جمالية الاثر الفني تأتي من هذه المعاكسة بين الواقع والخيال .. فبشار لم يكن جميلا ولم يكن جذابا وانما كان أقبـح الناس عمى وكان اذا أراد أن ينشد بصق عن يمينه وعن شماله فيأتي بالعجب(٦) . ولكنه بالرغم من كل هذه الصفات الواقعية كان مرحا في رحلته الغزلية الخيالية هذه وكان ميالا الى المزاح وهذا ما نستشفه من النص نفسه .

فهو يقول : رب انسانـــة غرقت في حبه وهامت بجماله ـ على طريقة عمر بن أبي ربيعة ـ هذه الانسانة اصابها الوجـد لحبها به .. ولكن بشارا يعرض عنها لصالح سعدى :

يا رب قائلـة يومـا لجارتهـا
ان المرعث همي غـاب أو شهدا
صددت عنها فلم أدمن زيارتهـا
الى هـواك فلم تجزى به صفـدا

هذا الكلام ظريف وجميل في آن .. وتأتي جماليته من هذه المعاكسة المعنوية .. فهو بشع في غاية البشاعة من الوجهة الواقعية ولكنه ظريف مليح في غاية الظرافة والملاحة من الوجهة التعبيرية الجمالية .

وهنا يجب علينا أن نفرق بين الجمال الحسي الواقعي وبين الجمال المعنوي (الظرف والطرافة والملاحة في التعبير) .

وبهذا ينطبق على هذه القصيدة قول الفيلسوف « كنت » بصدد تفريقه بين جمال الطبيعة وجمال الفن : « الفن ليس تمثيلا لشيء جميل وانما هو تمثيل جميل لشيء من الاشياء »(٧) .

لقد عكس لنا بشار حالة نفسية حصلت بقالب تعبيري جميل وبذلك كان اثره الفني – على الرغم من قبح واقعيته – مصورا تصويرا ممتعا .

والحق يقال ان بشارا في هذا كان رقيقا .. هذه الرقة تمثلت في هذا القالب الفني وبذلك ازداد النص رونقا وجمالية بهذه المقارنة بشيء معاكس أو بشيء قبيح .. فهو قد قلد أفعال العاشقين الحركية (لا الفنية ذلك لان الاعمى والمبصر سواء بشرع الحب) فبشار فارس جال الوديان والصحراء الشاسعة لكي يتوصل اليها .. فهو ليس رعديدا ولا خائفا من أحد .. لقد قطع الهضاب الوعرة :

قالت : فأنى – بنفسي – جئت مسترقا
من العدو تخطى الوعر والجددا

جورا أتى بك ام قصد ؟ فقلت لها
ما زلت أقصد لو تدنين من قصدا

لا تعجبي لاجتيابي الليل منسرقا
ما كنت قبلك رعديدا ولا بلدا

ولا أدل على رقة الاثر الفني من ذلك البناء اللغوي المتماسك الفعال في القصيدة .. فقد استطاعت الالفاظ أن تأتي بالدلالات الواضحة لما في نفس بشار وصاحبته .

لقد تقيد بشار بوصية أبي تمام للبحتري عندما قال له : « .. وان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق »(٨) .

ولا يخفى أن الرقة في هذا العمل الفني يأتي رونقها من هذا الجو الحذر المتصل بالخوف .. فهناك الواشون والمتربصون :

فقلت اني عداني أن ازوركمو
قوم يبيتون من بغضائنا رصدا

مغفلون عن الخيرات عندهمو
من فطنة الشر علم لم يكن رشدا

فأرسلت حين كل الطرف انهمو
قد نوموا فأتنا ان كنت مفتأدا

وهكذا تتحرك العناصر اللغوية في هذا البناء اللغوي المتماسك متسلسلة مترابطة منسجمة تجري برفق وسهولة دون تعثر .

الا أن روعة الاثر الفني تأتي من التطواف الغريب والسير في مجاري الطبيعة الكبيرة انه سار في الهضاب الواسعة والاودية الكبيرة حتى وصل اليها .

والواقع اننا ندهش من روعة هذه المسالك التي ذكرها بشار في اطار ادبي شعري .. ان الشيء الذي يعطي الاثر الفني جمالية مستقيمة هو ان احداث العمل الفني كانت هادئة وساكنة فكل ذلك حصل بعد أن ادلهم الليل ونام القوم .

يضاف اذن الى العناصر الفنية التي أعطت جمالا وتألقا للاثر الفني هذا السكون والهدوء المتميزان بالعقلية المتزنة عند بشار .. فكل حركة قام بها بشار محسوب لها من ذي قبل .. فحبيبته سعدى كانت قد وطنت تربها الحولاء تراقب مجيئه :

فأرسلت حين كل الطرف انهمو
قد نوموا فأتنا ان كنت مفتأدا

ووطنت تربها الحولاء ليلتها
قبل الرسالة حتى اصبحت عضدا

وهو عندما لاقى حبيبته كان في غاية التأنق وفي غاية الزينة .. فهو لم يدع زينة الا ولبسها لكي يلم بوصيفاتها :

ولم أدع زينـة حتى لبست لهـا
من الجديد لكي ألمم بهن غـدا

وهكذا تتوالى الاحداث بعقلية متزنــة تتصف بمجالية الحبكة الفنية .. وما دام بشار في رحلة غزلية خيالية فانه سوف يكون حذرا في حبك الافكار وصبها في وعاء اللفظ .. وكنا نتوقع ان يسرح بشار في شطط القول ما دام كذلك الا أن ذلك جاء معاكسا لظننا ... فقد حقق بشار خياله من هذه المطابقة التامة بـين الالفاظ والمعاني دون زيادة ونقصان ثم من هذه الموافقة بين الفكرة والشكل الفني على حد تعبير الفيلسوف الالماني « هيجل »(٩) ان صنع بشار هنا كصنيـع الرسام الذي يرسم الشكل فيولي اهتمامـه الخط الدقيق الذي يحد جوانب الشكل او مثله مثل النحات الذي يعنى بصقل تمثاله ومناسبته التامة للموضوع الذي يمثله ويشخصه(١٠) .

ان التناسب اللفظي وانسجامه مع بعضه البعض من جهة وتوالي المعاني متسلسلة وتناغمها من جهـة أخرى يجعلنا نشبه فعل بشار بالمصور الذي يرسم ويخط والذ ي يهتم بلطخات الالوان وانسجامهـا وتناسبهـا .

ويبدو الاثر الفني اكثر حيوية وديناميـة بفضـل هذا الجدل الفني فيه .. فسعدى تعده ولكنهـا لا تفي بالوعد .. ومن هذا التضاد يكون شيئـا محزنا لبشار :

وعدتني ثم لم تـوفي بموعـدة
فكنت كالمزن لم يمطـن وقد رعدا

وهو بالتالي يحب أن يدنو منها ويحدثها ويطفىء لظى قلبه بمحادثتها ولكن يكون النقيض .. فهو لا يرى الا الصد والتمنع :

اذا نأيت دعانـي منكمو نكـد
فان دنوت منعت النائل النكـدا

وبهذا يكون بشار قد رسم لنا هذه الحركـة النفسية بعبارات دقيقة كاملة وبين لنا حركة الجدل الفني والتأثير المتبادل على صعيدي النفس والفكر .

أليس من صفات الجدل طرح الفكرة ثم نقضهـا ثم جمع الفكرة والنقيض معا ليحصل فيما بعـد التركيب (١١) وهذا ما فعله بشار فقد أثبت الحب ثم نفى تحقيقه ومن هذا الاثبات والنفي كان شيئا مركبا وهو انه اجتمع بها اخيرا وان كان لم يحقق سـوى اللمسة والحديث :

اذا نأيت دعانـي منكم نكـد
فان دنوت منعت النائـل النكدا

حتى التقينا فمن شـكوى ومعتبة
نكرها لا نخـاف العين والرصدا

وقمت لم أقض منها اذ خلوت بها
الا الحـديث والا أن أمس يـدا

صحيح ان بشارا قد بالغ في وصف حبه وأخـذ يفصل ويدقق في معنى النحول والسقم الذي أصابـه تجاه سعدى ولكن يبقى كل ذلك في حدود الفن الذي تجاوز الواقع .. وتنطبق على هذا الاثر الفني المقولة النقدية التي تذهب الى أن « أعذب الشعر أكذبـه » فبشار يدعي النحول ويزبرجه بقالب فني رائع وذلك ليسترحم حبيبته سعدى .. فهو هنا يختلف عـن قيس بن ذريح الذي قال في المعنى نفسه :

وللحب آيـات تبين بالفتـى
شحوب وتعرى من يديه الاشاجع

وكان ابن ذريح صادقا من الوجهة الواقعية ... ولكن بشارا لا يبلغ روعة المتنبي في هذا المعنى مع أن الآخر غير صادق من الوجهة الواقعية عندما قال :

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني
وفرق الهجر بين الجفن والوسن

روح تردد في مثل الجمال اذا
أطارت الريـح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولا انـني رجـل
لولا مخاطبتـي اياك لم ترنـي

على أن قارىء الاثر الفني اذا تمعـن تفهم النص لا تغيب عنه تلك الموسيقية التي تولدت عليه القصيدة لا يفوق البحر الطويل من حيث هو بحر خضم يستوعب

ما لا يستوعب غيره من المعاني ويتسع للفخر وللحماسة والخيالات الواسعة وسرد الحوادث وتدوين الاخبار ووصف الاقوال .. اذا كان البحر البسيط لا يفوق الطويل في مثل هذه الصفات فان هذا البحر يفوق الطويل بهذه الرقة والجزالة وهذه الموسيقية الاكثر رنينا وجرسا والمتولدة من قافية الدال التي تشبه رنين المطرقة على السنديان .

والحقيقة عندما نتأمل هذا العمل الفني نخرج عن قيد الزمان ونشعر كأن الزمن قد وقف مجراه ومما يجعل الابيات الشعرية روعة فنية ان بشارا ذكر زمنين احدهما طويل وذلك عندما التقى بها وسامرها وشرب الخمر واياها :

جاءت بأزهر لم تنسج عمامته
اذا الزجاجة نادت كأسه سجدا

نلهو اليه ونشكو بث أنفسنا
في سلوة وزوال الليل قد أفدا

والثاني زمن قصير وذلك عندما فاجأهما الصبح وعكر عليهما الصفوة والنشوة :

حتى اذا طارق ثارت عداوته
بأول الصبح كانت صالحا فسدا

هذه الصناعة الفنية الدقيقة من جملة الاشياء التي جعلت بشارا متفوقا .. فبشار هنا وفي الزمن القصير ينظر نظرة ازدراء واحتقار اما في ذلك الزمن الطويل فقد كان في غاية السعادة والفرحة .

وبشار في هذا يفرق بين الزمن الخارجي الموضوعي والزمن النفسي الداخلي .

ولم يكتف بشار بهذه العناصر الجمالية الفذة بل نراه يهتم بعنصر جمالي ممتاز هو اللون فاذا جاءت حبيبته سعدى فانه يلبس احسن الثياب ويتزين احسن زينة .. وهنا نجد انفسنا تجاه نوع من الشعر ملون كما نجد أنفسنا تجاه شريط من السينما ملون ايضا . فالشعر يكتسب بهذا التلوين عنصر الطرافة والابداع . وهكذا جعلنا اللون الشعري نستحضر ذكرياتنا :

ولم أدع زينة حتى لبست لها
من الجديد لكي ألم بهن غدا

لما رأت لمحة مني مرعشة
خضرا وحمرا وصفرا بينها جددا

هذه الالوان التي جاء بها بشار داخلت العمل الفني فأعطته رونقا جديدا ورقة .. ان بشارا هنا حاول ان يستغل اللون استغلالا مختلفا لانه عد اللون بمثابة اصداء لنغمات كامنة في نفسه .. وهكذا يدرك العقل الاشياء الواضحة بينما تحس النفس بالاشياء غير الواضحة كما عند بشار الاعمى الذي لم يعرف ما هي الالوان لانه ما نظر الى الدنيا قط فقد ولد أكمه. وهكذا اصبح اللون لغة وجدانية تتحدث الى نفوسنا. واذا كان لكل لون دلالة خاصة تتفق مع حالة نفسية معينة عند بشار فان دلالات الالوان المختلفة حين تتآلف متعانقة تكسب ابعادا فسيحة تنفذ بها الى أغوار النفس البشرية (١٢) .

وبشار هنا أعطى استنتاجات مختلفة من صنع خياله .. فهو أحب وعشق وابتعد وحاول أن يسافر ويقطع الفلوات ليأتي حبيبته سعدى ويكون ما يكون من ارسال الوصيفة وتهيئة الجو المناسب ويكون بعد هذا اللهو والشرب .

ان بشارا هنا ليس بشارا الواقعي الذي تحدثنا كتب الادب عنه وانه عاش في العصر العباسي ان بشارا في هذا العمل من نوع آخر فهو على هذا النقيض من شخصية بشار الاولى .. انه هنا بشار الفنان بشار الشاعر الذي لا يتفنن على نمطية واحدة وانما يريد لخياله ان يلعب لعبته ولا بد للتحليق من أن يتم ليكون بعد هذا أثر فني من اعظم الآثار الفنية عند بشار

هذا الخيال الشعري ليس خيالا متعثرا سلبيا وانما هو خيالي ذكي .. انه ليس بالخيال السلبي الذي يعمل بطريقة شبه لا ارادية .. انه ايجابي يعمل عملا واعيا يستخدم فيه الذكاء والارادة ويلتزم عناصر الجمال (١٣) .

لقد حقق بشار غزله بواسطة هذا الخيال وقد لهى مع سعدى بخياله ايضا وبذلك تنطبق عليه جملة الفنان رينوار عندما قال : « انني أضاجع المرأة بفرشاتي » (١٤) .

ان وظيفة الفنان هي أن يستلهم اعماقه ويخرج ما فيها ويصوغه صياغة فنية تجعله جديرا باهتمام

الآخرين قادرا على اثارة مشاعر اكبر عدد ممكن من المشاهدين وقد يكون هذا هو اساس طبيعة العمل الفني المركبة : يغوص الفنان بادىء ذي بدء في اعمق أغوار نفسه متخطيا حواجز الفكر المنطقي المستنير ليصل الى الوحي الكامن في اللاشعور الذي لا يلبث أن يطفو على السطح ثم يستخدم قواه الذهنية الواعية لتشكيل العناصر الجمالية .. وقد تلعب الذاكرة دورا في تكييف ما نظمه الذهن الواعي فتمد الخلق الفني حينئذ بعنصر جديد هو الخيال .

لقد كان الخيال في عمل بشار منبع الابداع وقد أعان بشارا في تحقيق التوازن بين العالم الداخلي والعالم الخارجي .. العالم الداخلي هو ما كان يعاني منه بشار من توجع وألم والعالم الخارجي هو هذا الليل الذي لا يشرق فيه نور غير لهيب القلب المتقد . فاذا كانت مملكة الانسان تعيش على ضوء النهار فان المملكة الالهية لبشار لا تبدأ الا مع ظلمات الليل حيث يسطع نور غزلي لم يسجله سوى القليل من العباقرة الشعراء مثل الفنان العظيم بشار .

نحن أمام قصة من المغامرة الغزلية وامام اسلوب من أساليب البيان .. ولا شك ان القصة التي عرضها بشار تؤلف ظاهرة من أبرز الظواهر الغزلية في شعره ولهذه القصة بداية ونهاية . اننا نلاحظ اولا أن القصة قامت على هذا الاندفاع العاطفي الذي ايقظ صاحبه وانتهت بهذا الوصال المحدود لقد حقق بشار لقصته عناصرها الرئيسية من شخصيات ومكان وزمان وحدث وعقدة .. الا أن النفس القصصي عند بشار كان قصيرا ..

ومهما يكن نصيب هذا النفس القصصي من الطول أو القصر فانه يطرح امامنا قضية خطيرة وهي أن هذا النفس القصصي كان دليلا على أن بشارا كان فنانا ولم يكن محبا عاشقا . وقد كان للحوار الذي داخل القصة اثر فعال في حيوية النص الشعري فقد فرض نوعا من الاسلوب الذي يتآلف مع طبيعة القصة ، انه هذا السؤال الذي لا يعنى ببعض الصناعة الكلامية قدر ما يعنى بتوجيه جهده نحو اقامة القصة نفسها .

وهذا بالتالي ما جعل الكلام في النص سهلا رقيقا تحقيقا لمذهب بشار الشعري وهو السهولة او ليست هذه الشعبية أو السهولة اللفظية جعلته رأس المحدثين(١٥) .

الجمال الفني بين معرفة الماضي وخيال المستقبل :

ما مقدار الالتفات الى الماضي في هذا العمل الفني وما مقدار استشراف المستقبل ؟

لو تتبعنا المنهج العام للاثر الفني تبين لنا أن بشارا التفت الى وعاء القديم وغرف منه وذلك عن طريق سماعه لهذا التراث الضخم الذي خلفه الشعراء السلف . الا اننا نحب أن نقول انه لا بد من اشياء جديدة في هذا الاثر وذلك نتيجة لتفاعل القديم مع الجديد الذي تأثر به بشار من ثقافة جديدة واقامة في مجتمع يختلف جد اختلاف عن المجتمع السابق .

لنأخذ بيتا من الاثر الفني لنعرف مدى الجديد فيه .. يقول بشار :

وعدتني ثم لم توفي بموعدة
فكنت كالمزن لم يمطر وقد رعدا

يتحدث بشار الى صاحبته ليقول لها : انك تقولين لي دائما أن سوف آت اليك لكنك لا توفين بهذا القول .. انك كالسحاب الذي يسمعنا صوت رعده ولكنه لا يمطر .

كيف عبر بشار عن هذه الصورة ؟ انه عندما قال: وعدتني ثم لم توفي وعدك التفت الى معنى كان الشعراء قد لفظوه من افواههم فهو بهذا لم يأت بجديد ونحن اذا عدنا بذاكرتنا الى الماضي نجد ان عمر بن أبي ربيعة قد قال مثل هذا المعنى :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد(١٦)

الا أن عمر لم يستطع ان يعقد الصورة الفنية تعقيد بشار فقد ترك عمر احساسه تجاه حبيبته يضرب على وتر واحد دون ان يلون الصورة .. أما بشار فلم يكتف بما فعل عمر فهو لم يكتف بأن قال لها انك وعدتني ولم تفي بوعدك .. فلو قال هذا لكان مقلدا بل استعمل بشار تركيبا عجيبا كان مصدره احساسه الخاص ، من هنا أخذت الصورة أبعادها وذلك عندما شبه صاحبته عندما تعد ولا تفي بوعدها

بالسحاب الذي يرعد ولكن دون أن ننتظر منه مطرا .. انها صورة فنية رائعة وتأتي روعتها من هذا الربط الحسي (رعد) المعنوي (وعد) .

وبهذا كان بشار يستشرف المستقبل بخياله ويعرف الماضي بعقله وهنا روعة الفن الخالد ويقول بشار في بيت آخر من القصيدة :

غاب القذى فشربنا صفو ليلتنا
حين نلهو ونخشى الواحد الصمدا

يريد بشار ان يقول : انه عندما انصرف الحساد والرقباء اصبحت ليلتنا صافية كالخمرة عندما نشربها لا يعكرها شائب .

هذا المعنى تداوله الكثير من الشعراء ونجد عمر بن أبي ربيعة ايضا يستعمل هذا المعنى في رائيته :

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه
وروح رعيان ونوم سمر

وخفض عني الصوت أقبلت مشية الـ
حباب وشخصي خشية الحي أزور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت
وكادت بمخفوض التحية تجهر(١٧)

صحيح أن عمر بن ابي ربيعة جاء بالمعنى مطولا بعض الشيء حتى انه استغرق ابياتا اربعة ولكننا نشعر أمام معنى بسيط لا تعقيد فيه فلو قال بشار على نمط عمر لكان مقلدا وهل لهذه الثقافة المعقدة التي داخلت عصر بشار ان تسوقه الى هذا المعنى البسيط .. وهل لتلك العبقرية الشعرية التي دخلت تناقش وتجادل في فلسفة الكلام أن تجعله يصوغ هذا المعنى صياغة قريبة مباشرة !!

لقد تعمق بشار في صنع هذه الصورة الخيالية حتى اننا نرى في مصراع هذا البيت أربع استعارات متتابعة ـ والاستعارة بطبيعة الحال تحمل مخزونا نفسيا لا يمكن ان يحمله التشبيه البليغ مثلا ـ فقد شبه الرقيب بالقذى لانه يكدر عليه التذاذه بالحبيب كما يكدر الالتذاذ بالخمرة وشبه الليلة بالخمر بقوله « شربنا » وشبه تلذذ تلك الليلة بشرب الخمر وشبه خلو الليلة من المنغصات بصفاء الخمر . هل يمكن اذن ان نقول ان صناعة بشار الفنية تريد أن تضيف أشياء جمالية تقوم على شيء من الجهد الفني؟

ان مذهب بشار في قصيدته هذه ليس الا نتيجة للتطور الذي مر في الشعر العربي وأثرا من شخصيته وتكوينه .. ثم هو خليط من فن ابن أبي ربيعة وفن الغزل العذري ايضا اما على صعيد الفن العذري فاننا نجد قدرا من الابيات التي لا يكاد بشار يختلف فيها رقة وسموا عن الغزلين العذريين وعلى صعيد الفن العمري نجد فيها ذلك الميل القوي لمنهج ابن أبي ربيعة .. ويتضح تعلق بشار بمذهب عمر من خلال هذا المنهج الذي سلكه في قصيدته هذه ذلك المنهج الذي يعد طريقة لعمر في شعره .. طريقته بالسرد القصصي او ما يعبرون عنه بالمصطلح الاوربي The Matune Amd Mades of Mannative Frctiam

لقد تجاذبت بشارا قوتان : قوة القديم ومعرفته بمثالة انها التراث الذي يملكه بشار وقوة الجديد بمثابة انه اقامة لبشار بفكره وحاضره في هذا المجتمع الذي يختلف جد اختلاف عن المجتمع القديم .

فبشار على الرغم من معرفته للماضي تطلع بخياله الى المستقبل من هنا فانه احدث جديدا في هذا الاثر « ولكن هذا الجديد لم يكن ابتكارا اصيلا لفن جديد او ذهابا في باب من ابوابه مذهبا لم يسبقه اليه احد وانما كان تجديدا في طريقة التعبير وتوسعا في تحقيق شعبية الغزل .. فلم يكن التجديد في التعبير عند بشار تجديدا اختياريا وانما كان نتيجة العاهة التي كانت فيه .. فبشار يذهب في الفنون البديعية في هذا العمل الفني الذي يعتمد على الصورة والخيال مذهب الشعراء يطلبها مطلبهم ويحاول ان يجدد بها »(١٨) .

وقبل ذلك فعل بشار باللفظ الشعري من حيث هو سبب يصل بين سامعه والمعنى فقد نقله كذلك الى التقريب والسهولة والشعبية .

فلا نخطىء اذا قلنا ان بشارا أول من فتق البديع .. والبديع لا يقصد به في ذلك الزمن معناه الاصطلاحي الذي استقر في العصور المتأخرة (طباق ـ جناس ـ تورية) وانما كان يراد به الى نحو من التجديد في معالجة الشاعر شعره باستخدام الصور

والاكثار منها .. وكان يدخل تحت مدلول البديع ايضا وجوه الميل بالمعاني القديمة الى وجه جديد من الاستعمال مغاير لما جرى العرف في تناولها والتسليم بها .

نظرة أخيرة وتقويم :

لن أسمح لنفسي كما سمح النقاد المعاصرون لانفسهم لنفوري من شخصية بشار - ان أفسد تقديري الفني الجمالي لهذا الاثر .. ولن أقول اذا رأيت خياله في هذا الاثر الفني يحلق وقريحته تذكو انها اجادة صناعية ليس غير .

لقد كانت قصيدته هذه قطعة تسمو على الفن وذلك بالهامها الجمالي الذي يتضح لدى قراءتها والحقيقة انني لست مع استاذنا الدكتور طه حسين - مع تقديري لرأيه - عندما جرد بشارا من كل صفة فنية أو خلقية وذلك عندما قال :

« ... كان شعره كله اغراء بالفجور وحثا على الفسوق وافسادا حتى لاشد الناس حرصا على الشرف وأوفرهن حظا من الاحصان .. ومهما تكن لبشار الاشعار الجياد البارعة فأنا لا أحبه ولا أميل اليه .. ليس شعره شفافا كشعر ابي نواس والحسين ابن الضحاك ومطيع وحماد عجرد وانما هو شعر صفيق لا يدل من نفس صاحبه على شيء وهو كاذب أبدا لا يحفل بالكذب »(١٩) .

لقد قرأت القصيدة مرات عديدة وشعرت انني أمام روعة فنية فذة فهل يحق لنا أن نحكم على هذا الشعر بالكذب لمجرد اننا لا نعطف على صاحبه ... ولعلني لا أبالغ بأن النقد المعاصر يتجنب دراسة صاحب الاثر الفني لصالح الاثر نفسه ويقول الناقد ي . م فورستر ما معناه : ستبتعد الآثار الفنية عن قائليها مع تقدم الزمن وسوف يأتي يوم ويقول لك الاثر الفني ها أنذا ودعك من مبدعي(٢٠) .

لقد استطاع بشار أن يرى في سعدى مجالا يعلو على الجمال الجسي ولا أدل على ذلك من بعض الابيات التي وردت في القصيدة والتي صور فيها لوعته وحزنه من هذا الفراق . حتى انه في رائيته التي يقولون انه أفحش فيها لم يلجأ الى نظم مثل هذا الشعر لمجرد شهوانية بل بدافع النقص الذي داخله وبدافع نفسيته المنقبضة التي تحب الانتقام من مجتمعه ورجاله فهو قد وجد بهذا اللون من الشعر متنفسا لما اتبعه معاصروه في نفسه من الحقد .

لقد كان بشار في عمله الفني شخصية فردية في تميزها .. ولم يكن سوى نتاج هذه الظروف المضطربة المختلطة الشديدة التعقيد .. فهو يمثلها جميعا يمثلها في حيرتها الفكرية ويمثلها في ذوقها الفني .. وما دام المجتمع الحضاري جديدا فلا بد من هذه الشخصية الجديدة التي تمثلت ببشار .

فهو قد أدخل تجديدا في نظام الشعر العربي فقد احتفظ بالسنة الجديدة التي استنها عمر بن ابي ربيعة في الحوار والسرد القصصي في المعنى الواحد(٢١) الا ان أسلوبه في هذه القصيدة مختلف بعض الشيء عن أسلوب عمر ويتضح فيه تأثره بثقافته المعاصرة المعقدة .

وقد استطاع بشار ايضا ان ينفذ الى أعمق اعماق المرأة فهو لم يكتف بالوصف الحسي وهذا ما كنا نتوقعه من رجل أعمى مثل بشار بل مال الى السر الذي يكمن وراء الصورة الحسية وجميل ما تصور عبارات جيمس سكوت في كتابه : « صناعة الادب » هذا الفارق بين الصورة الحسية والصورة المعنوية فهو يقول : « .. فالصورة والصورة الظاهرية هي العنصر الاول المميز في الفن التقليدي فهو يقوم على هذا الجمال الظاهري الخارجي والرومانتي في مقابل ذلك كله يميل الى الوقوف على السر الذي يكمن وراء الصورة والاتجاه اليه .. وليس ذلك ان يقصد الى ما لا صورة له وانما يقصد الى الحرية التي لا تقتنع بأي شكل يقع لها »(٢٢) .

وبشار لم يقنع بالصورة الظاهرية بل ذهب الى ما وراء الصورة .. ذهب الى السر الذي يكمن وراءها .

● **مازن الوعر**

---

١ - ابن قتيبة - الشعر والشعراء ص ٢٠

٢ - فيصل - شكري - محاضرات « بشار بن برد » لقيت على طلبة قسم اللغة العربية بجامعة دمشق سنة ١٩٧٣

٣ ــ ديوان بشار بن برد ، محمد الطاهر عاشور ج ٢ ص ١٩٢

٤ ــ فيصل ــ شكري ــ تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ص ٥١٦

٥ ــ فيصل ــ شكري : تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ص ٤١٩

٦ ــ الاغاني لابي الفرج ج ٣ ص ١٤١

٧ ــ اليافي ــ عبد الكريم : دراسات فنية في الادب العربي ص ٩

٨ ــ اليافي ــ عبد الكريم ــ دراسات فنية في الادب العربي ص ١٨

٩ ــ اليافي ــ عبد الكريم ــ دراسات فنية في الادب العربي ص ٣٨

١٠ ــ المصدر نفسه ص ٦٩

١١ ــ اليافي ــ عبد الكريم ــ دراسات فنية في الادب العربي ص ٨١

١٢ ــ رينية ويج ــ فيلسوف الجمال : ثروت عكاشة ــ عالم الفكر عدد ٤ ص ٢٠١

١٣ ــ المصدر نفسه ص ٢٠٣

١٤ ــ المصدر نفسه ص ٢٠٣

١٥ ــ البهبيتي ــ نجيب : تاريخ الشعر العربي ص ٣٥٢

١٦ ــ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٦

١٧ ــ ديوان عمر بن ابي ربيعة ص ٩٦

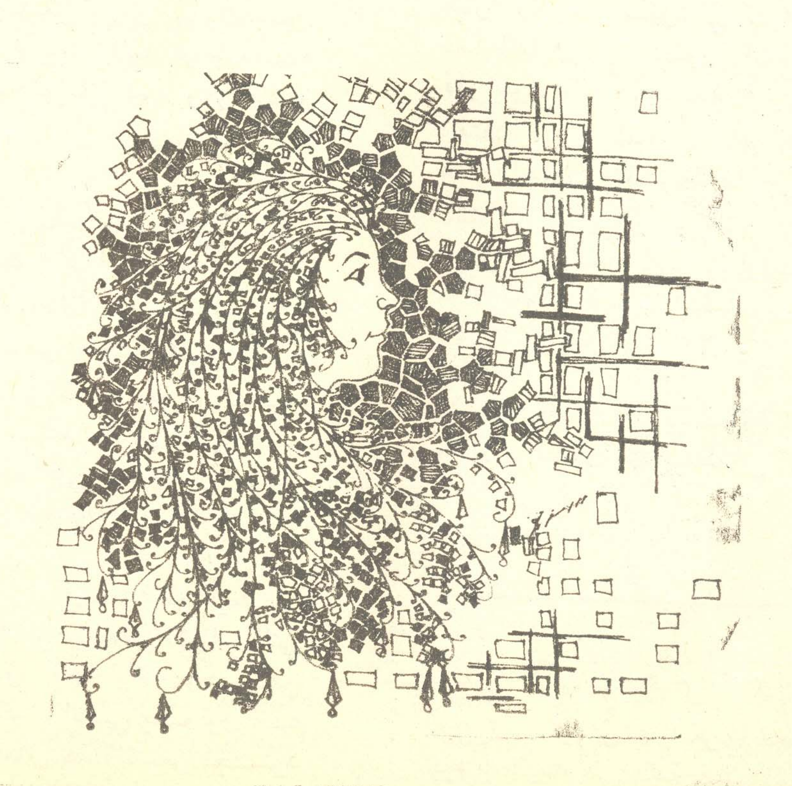
١٨ ــ من المستحسن الرجوع الى كتاب « تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري » للدكتور نجيب محمد البهبيتي ، فقد طرح نظرية جديدة رائعة في الشعر العربي .. واستطيع ان اقول ان كل الذين أتوا بعده كانوا عالة على نظريته المطروحة .

١٩ ــ حسين : د . طه « من تاريخ الادب العربي المجلد الاول ص ٩٠ ــ ٩٧

٢٠ ــ الخطيب : د . حسام « الادب الاوروبي تطوره ونشأة مذاهبه الادبية والنقدية » .

٢١ ــ البهبيتي : د . نجيب : تاريخ الشعر العربي ص ٣٥٠

٢٢ ــ المصدر نفسه ص ١٨٢



قبسات من الأدب المهجري

حنّا جاسر : الشاعر الثائر

بقلم : نعمان حرب

من ملاحم الثورات يتعلم الانسان التاريخ .
ومن دياجير المظالم تنبت البطولات
والمآسي في حياة الامم والشعوب لا نهاية لها .
وكم من مأساة ولدت الخوارق ، وصنعت العجائب

ومنها تتفجر البراكين النائمة ، وتندلع في ساحات الوجود ، وتمهد الآفاق لمشرق الشمس ، وضياء القمر

الظلام لا ينتهي الا عند بزوغ الفجر الوضاح .
والباطل ينهزم عند يقظة الحق في ضمير الحياة .
ومأساة فلسطين ، اكبر لطخة سوداء في جبين هذا القرن . وأخزى سبة جاء بها الباطل من ديار الظلم والجور والبهتان الى مهد الوحي والنور والايمان .

منذ عشرات السنين يتصارع في أرض الميعاد الحق والباطل . ولا يزال الباطل جاثما على صدر الحق . لان الذين يدعون صيانة هذا الحق قد تخاذلوا وتنازعوا وتفرقوا شيعا واحزابا ، وانزلقوا في متاهات الانانية يتناحرون ، ويتزاحمون على دم الضحية ، ويتاجرون باسمها في مصائر الشعوب .

ضعف الحق المقدس ، وشرد الشعب الجريح المخدوع بالوعود والعهود ، وتفرق ابناء البيت الواحد تحت كل كوكب .

فيا لجرح العروبة الدامي !
ويا لصغارة المتخاذلين !

أما الباطل المدعوم بقوى الشر والطغيان ، المعزز بحرابها المسمومة ، فلا يزال متماديا في غيه ، غارقا في بحور ظلامه . يلاقي ارضا عربية مفتوحة ، وصدورا عربية خائنة .

من أعماق المأساة وثب النسر الفلسطيني الى قمة الجبل . حمل البندقية والمدفع ، وملأ الكون زئيرا ودخانا . ورفع القلم ، وسطر الكتاب ، وغمر الدنيا نشيدا والحانا .

في كل وثبة : مجد وفخار .
وفي كل غزوة : بطولة وفداء .

وعانق هذا البطل القادم من بحار الدمار ، الخارج من تلال الاشلاء : احرار كثيرون ، ومن أقطار

الكرامة والنخوة ، وساروا بجانبه على دروب الموت والتضحية .

وهذه الضحايا التي غطت تربة فلسطين ؟
وهذه الدماء التي روت الارض المقدسة ؟
هل تذهب هدرا ؟

الآمال لا تزال تتبخر في حلكة الظلام ، وتذوب في احشاء الليل العابس .

وهذه الخطوط المتعرجة ، الراكضة في صحراء التيه ، ترسم على خريطة الوجدان العربي رسومها الكريهة .

فلا يستيقظ هذا الوجدان ، ولا يصحو هذا الغافل .

وهذه البذور المسمومة ، يستقبلونها ويزرعونها في ارضهم الطهور . ولا يخشون ثمارها القتالة في المستقبل البعيد أو القريب .

هذا السراب من الامل الخادع ، وهذه الاصداء من الزيف والبطلان ، كيف يؤمن بها هؤلاء الضعفاء المتخاذلون .

هؤلاء الخائفون على سلطانهم الا يخشون من نقمة الامة وصراخ الاجيال ، ومسؤولية التاريخ ؟

فحتام يهمعون في غيهم . ويغرقون في جهلهم ، ويخضعون لشهواتهم ، ويتناسون تاريخ الآباء والاجداد؟

اللهم انقذ هذه الامة من هؤلاء الرجال الاشباح ، المتسترين بعباءات العروبة ، الراكضون وراء الشهوات والنزوات .

* * *

هذه المأساة شردت شعب فلسطين في كلّ بقاع المعمورة .

هذه الكوارث المتلاحقة : من قيود وحرمان ، ومن تخاذل وتآمر ، جعلته يكفر بكل العهود والمواثيق التي قدمت له خلال اكثر من اربعين سنة .

هذه المأساة الهبت المشاعر ، وايقظت الكوامن ، وأوحت الى الادباء والشعراء بالدرر المشعة من منثور ومنظوم .

وليس كالشاعر من يؤرخ خلجات شعبه .
انه يغني لحن الوجود ويعزف على قيثارة الزمن .
انه يدرك قبل اي انسان كيف تهطل الدمعة ، وكيف ينز الجرح ، وكيف تنطلق الكلمة .

انه يذوب في عصارة الفداء ، لتنطلق من ثناياها الشرارات المضيئة في الاجواء المعربدة ، وتخلق المصباح المشع الوضاء .

والشاعر حنا جاسر ، النازح عن أرضه العائش في خضم الاحداث ، وفي مرارة الحرمان والاسى أضحى مثل اخوته الكثيرين ، لا يؤمنون الا بالثورة الجارفة ،

طريقا للخلاص من المحنة ، بعد ان اصبحت المآسي المتعددة وكأنها شعارات عربية .

ومثل وثبة النسر الفلسطيني الى قمة الجبل ، يستقبل باسما خناجر الغاصب تغرس في صدره ، وخناجر ابناء العمومة والخؤولة تنغرس في ظهره ، ويمضي كالاسد الجريح يمزق الطواغيت والجلادين ، كذلك شعراء الثورة الفلسطينية العربية ، يرسلون الصرخة تلو الصرخة ، المشحونة بالآلام والانين الطافحة باليأس والاسى ، الهادرة كالعاصفة في ضمير الخائفين المتخاذلين .

وللشاعر حنا جاسر ديوان مطبوع ، صدر مؤخرا في الارجنتين اسماه « أمة ... وجراح » واحتوى هذا الديوان ثلاثين قصيدة في مئة وثلاث وعشرين صفحة من الحجم المتوسط ، وكلها تصور هول النكبة وتدعو الى مواصلة الكفاح والامل المعقود على المقاتلين الاشاوس .

هذه القصائد ، هي نفير للجهاد ، وصدى بالغ من الاتهام ومن العتاب ، ومن فوران المشاعر في وجدان الانسان العربي . وسوف اخصه بدراسة موسعة قريبا ان شاء الله .

من هو الشاعر الثائر ؟

ـ ولد في بلدة الطيبة المشرفة على البحر الميت ، في ١٥ ايلول ١٩٢٥

ـ تلقى دروسه الابتدائية والثانونة في مدارس القدس . وتخرج عام ١٩٤٥ من كلية « النهضة » الوطنية القومية على ايدي مربين كبار منهم الاستاذ العلامة خليل السكاكيني مدير الكلية وعضو المجمع اللغوي في دمشق وبغداد .

ـ مارس التعليم في الكلية الوطنية في نابلس وفي الكلية الاهلية في رام الله وأسس فيها عام ١٩٥٠ حزب « الجيل الجديد » اشتراكا مع نخبة من الشعراء الثائرين اشهرهم الشاعر العبقري الشهيد كمال ناصر الذي ترأس الحزب بكل جدارة .

ـ استيقظت فيه موهبة الشعر منذ الخامسة عشرة من عمره ، ونشر في مجلة « الاديب » البيروتية والصحف الفلسطينية والاردنية .

ـ معظم شعره مستوحى من النكبة الفلسطينية وصراع العالم العربي اجمع .

ـ نزح عام ١٩٥١ الى الارجنتين وأقام في مدينة قرطبة الى هذه الايام .

ـ درس اللغة الاسبانية على نفسه ، وحاضر فيها، وله مقالات نشرت في صحف قرطبة ومجلاتها .

ـ صدر ديوانه « امة .. وجراح » عام ١٩٨٠

وشاء الشاعر الثائر ان يخص مدينة دمشق بنفحة من نفحاته ، فنشر في جريدة « الوطن » الغراء الصادرة في الارجنتين لصاحبها الاستاذ عبد اللطيف اليونس هذه الرائعة الفريدة المشحونة بالانين والحنين: هذه أناشيد الموت ... والحياة .

اعزفي يا ريشتي لحنا غريبا عبقريا
اعزفي الحزن .. اذا ما شئت .. والذل الشقيا
اعزفي الصمت رهيبا يرهق الليل دويا
اعزفي الموت .. فان الموت أمسى عربيا

* * *

ما تشائين اعزفي يا ريشتي لحن الالم
مزقي الاوتار يأسا ، واضطرابا ، وندم
حطمي العود اباء ، وجنونا عصبيا
واعزفي الموت .. فان الموت أمسى عربيا

* * *

هالني الحب على ثغر الصبايا .. كيف أضحى
هالني صوتك يا بنت بلادي.. كيف بحا
هالني ثوبك يا شعبي وقد بات زريا
فاعزف الهول معي ، فالهول أمسى عربيا

* * *

هذه انشودة الموت .. تعالوا نتغنى
يا رفاقي في ربى القدس ، فما للعيش معنى
انشدوا الموت الى أن يصبح العيش أبيا
واعزفوا الجرح .. لعل الجرح يمسى عربيا

* * *

يا فتاة .. ركعت في حضرة السجان ذلا
وفتى .. يشهق مما كاله الجلاد ويلا
اصمتا ، لا تزعجا قوما يعيشون هنيا
واعزفا في حضرة السجان لحنا عربيا

* * *

يا سجون « النقب » السوداء عجي بالقيود
يا بنوك العالم الزهراء عجي بالنقود
يا فلسطين تلاشي ! اسلمي الروح الزكيا
كي يزيد العرب الصيد ، رصيدا عربيا

* * *

يا توابيت الفناها على درب الفداء
يا مواخير عرفناها على درب الثراء
يا نعوشا .. يا عروشا .. آه يا أغرب دنيا
اعزفي ما شاء كل منك لحنا عربيا

* * *

فالربيع الحلو في « الطيبة »(١) قد جف ومات
وكروم التين باتت كلها مستوطنات
حرثتها « جزمات » الخصم حرثا عسكريا
وبنت فوق قبور الزهر قبرا عربيا

* * *

زغردي بالدمع يا أختي .. ففي الدمع طهاره
تغسل الامة من آثام اقطاب الدعاره
مزقي الثوب حدادا وانفلي شعرك نعيا
وارقصي للموت .. ان الموت امسى عربيا

* * *

قطعي من جلدك الدامي بطاقات تهاني
ارسليها زمن العيد الى أي مكان

فلعل الناس تدري أن في « الضفة » حيا
ولعل العيد يستيقظ ، يوما ، عربيا

* * *

واذا هاجتك يا أخت اناشيد الحياة
فاحلمي بالشام .. فالشام صمود ، واباء
واغسلي وجهك بالمجد الذي ظل نقيا
ان ترس الشام لا يفتأ ترسا عربيا

* * *

مدن العرب اندبي يا أخت .. واستثني دمشقا
فهي من آثار هاتيك المواضي .. ما تبقى
قبليها ، انها في قبلة الاعجاب تحيا
ان وجه الشام لا يفتأ وجها عربيا

* * *

يا دمشق الثأر ! يا آخر حب وكرامه
فجري الايمان فيمن فضلوا حب السلامه
اعزفي انشودة الصاروخ لحنا عبقريا
وامسحي العار الذي امسى شعارا عربيا

* * *

مهلا ، يا أخا العروبة !
سوف تتحطم القيود
وتنداس الحدود
ويستعاد الحمى المستباح
وتعود ايها البلبل الغريد الى مرابع « الطيبة »
الى السروة الهيفاء في سفح « الخضر »(٢)
تشدو على افنانها
الحان العز الصداح
وانت رافع الرأس
قوي الجناح

* * *

ومهما اثخنتك الجروح
وملأت جنوبك القروح
لا تتألم ، ولا تشكو !
فهذا القهر لن يدوم
ونحن لم نخلق للمذلة
« وانما خلقنا للفتوح »
يحسب الاعادي اننا في العدم
ولكننا : « من امجادنا في صروح »

* * *

كم رفرفت راياتنا
ونزلت منها آياتنا
وتفيأ امجادها احرار وعبدان
وخضعت لها ممالك وعروش
وانحنت امامها هامات
وركعت لها طغاة

* * *

سوف ، يا أخي ، تعود
تخفق فوق رأسك البنود
وجحافل العرب
من مثقفين وعمال وفلاحين وجنود
يزحفون ثانية الى حطين
لتطهير فلسطين
من رجس الغاصبين .
والى شاعر « امة ... وجراح » تحية كل عربي
يلثم الجراح ..

السويداء **نعمان حرب**

---

١ ـ الطيبة بلدة الشاعر في ضواحي القدس
٢ ـ الخضر : تلة مزروعة باشجار السرو ، تقع مقابل بلدة ـ الطيبة ـ وفيها مقبرتها .

ديوان «يا ليل»

درة في جبين الشعر العذري

بقلم: زكي قنصل

بعد هذه الدراسة الجامعة المانعة التي وضعها الدكتور شاكر مصطفى مقدمة لديوان الشاعر مدحة عكاش «يا ليل» اصبح من العسير الادلاء برأي في هذا الموضوع . كل ما نستطيع عمله هو أن نجمجم — على خجل واستحياء — بكلمة عابرة تعرب عن اعجابنا بهذه الدراسة ، او نضع يدنا على ذقننا كمن يداور فكرة ، وليس في الرأس فكرة ، ذلك ان صديقنا الكاتب لم يدع زيادة لمستزيد ، فقد احاط بالمجموعة من جميع أطرافها وألم بخفايا الليل وخباياه ونبش كل ما في الحنايا والزوايا ، وهو — كما نعلم — خير من يكتب عن الشعر ويدرس الادب ويسلط عليه الأضواء ثم يعطي رأيه القاطع ، فميزاته دقيق امين لا يعرف المجاملة وغرباله متساوي الخروق لا يرحم ولا يجور . والذين اتيح لم ان يقرأوه يعلمون ان له في هذا الميدان جولات موفقة عن طول باع وغزارة علم وسعة ثقافة واصالة تفكير وصدق نظرة ، ثم انه يتمتع باسلوب فريد او يكاد يكون فريدا يتميز باناقة الكلمة ورشاقة التعبير ، وصفاء اللغة وبراعة الربط بين الشكل والمضمون ، فلا يجور احدهما على الآخر ، وهي مزايا قلما تتوفر لعامة الكتاب . وأشهد اني لم اقرأ له بحثا أو نقدا او خاطرة الا خرجت بمتعة او فائـــدة أو بكلتيهما معا ، والا ازددت تقديرا لهذه القدرة الخارقة في السيطرة على قارئه والاستبداد بحواسه جميعا واصطحابه — عن رضا وحبور — في الطريق التي يختارها مهما طالت وتعرجت .

هذه المجموعة الشعرية اذن تضم المجد من طرفيه احدهما يتمثل في هـــذا النثر النقي الرقراق الذي ينساب من قلم شاكر مصطفى ثمرة فكر نير وخيال خير واطلاع عميق على ذخائر الفكر وكنوز الادب في الشرق والغرب ، وثانيهما يتجلى في هذا الشعر العذب السلس يجري خلف المعنى النبيل ويلبسه الثوب الرائق الاصيل ، فتحتار في أيهما استهواك وملك عليك مشاعرك ، أهي العاطفة الموارة بالالق والعبق والحرارة أم هي هذه البرود الزاهية الملونة كأنها وشي الربيع تثير الطرب والعجب وتنتقل فيها العين من حسن الى أحسن ؟

لا مراء في ان مدحة عكاش طرق كل ابواب الشعر ونظم في كل فن من فنونه ، ولكنه — لسر نجهله — وقف

هذه المجموعة على الغزل ، وليس في الامر ما يدعو الى الدهشة او الغرابة ، فالشعر شعر سواء غنى للربيع او للشتاء وسواء مجد البطولة الحربية أو تكسر على شفتي مليحة مغناج . وقد تنبه نقاد الغرب الى هذه الحقيقة الازلية فلم يحبسوا الفنان في قمقم ولم يضعوا له القوالب او يرسموا له معالم الطريق التي لا يجوز له ان يحيد عنها ، بل اطلقوا له حرية القول والعمل وقالوا له أن صدق العاطفة وحسن البيان هما الشرطان الاساسيان للعمل الفني ، فاذا توفرا لديه فله أن يصف عصفورا على عود أو يجرب سيفه على الحدود او يتغزل بالعيون السود . المهم ان يصح فيه قول الشاعر :

اذا الشعر لم يهزك عند سماعه
فليس جديرا ان يقال له شعر

اما نحن فمقياس الفن عندنا لا يعني في كثير او قليل بعنصر الاجادة الفنية ولا يقيم لها عظيم شأن . غاية ما يريد ان يكون الفن عامة — والشعر خاصة — في خدمة اغراض دنيوية ومعينة ، فاذا خرج على النهج المرسوم فهو مطية للاستعمار او بوق للبرجوازية ، أو هو من الطفيليات التي يقوم على عاتق التقدمية واجب استئصالها لئلا تسري عدواها الى نفوس الطبقات الكادحة . قيثارة الشعر عندنا ليس فيها الا وتر واحد وحديقة النثر ليس فيها الا لون واحد من النبات وما عدا ذلك فرجس من عمل الشيطان .

من هنا كانت جرأة مدحة عكاش في نشر ديوان غزلي في زمن تكاثر فيه ادعياء الوطنية وتوالدوا كالجراد تحت كل سماء ، واصبحت الكلمة الحلوة المنمقة سبة بل جريمة تقود صاحبها الى مقصلة المروق او نزجه — في أحسن الظروف — في سجن الخمول .

نحن لا نجهل دور الادب الحماسي في حياة الامة فهو يهز ضميرها ويوقظها من مراقد الهوان ويحفزها لارتياد العظائم ، ولكن هل يستطيع الجسم ان يعيش على لون واحد من الغذاء ؟ ان اساتذة الطب يؤكدون ان ذلك يؤدي الى ما يشبه الخور والانحلال . وهذا حال الامة . انها بحاجة الى اكتشاف مصادر القوة في طبيعتها واجتلاء اسرار الجمال . والمرأة قوة في بناء الامة ومصدر جمال في كيانها لانهاية له ، فلماذا نشيح عن محاسنها ونزور عمن يسبح الخالق من خلال التغني بفضائلها ؟

اني أصر على أن الالتزام وهو آخر « أزياء » الشعر يجب أن ينبع من اعماق الشاعر وينبثق من وجدانه ، لا ان يفرض عليه من الخارج كما تفرض الرقابة اسعار الخبز واللحم والفاكهة ، فالاجادة لا تتوفر الا بقدر ايماء المرء بالمهمة التي يؤديها . وأنا من الذين تفرغوا — أو اكاد أتفرغ — للشعر القومي ، فشهادتي اذن غير مردودة ، ولكني اكره ان أملي رأيي على الآخرين واقسرهم على السير في طريقي . وكذلك مدحة عكاش فقد نظم في الوطنيات شعرا غير قليل وخاض بيده وقلبه ميدان الكفاح ضد قوى الطغيان ، فاذا انكفأ الآن الى ذكريات الصبا ومغامرات الهوى البريء ينفض عنها غبار السنين — كما فعل شاعر عبقر — فمن الواجب ان نحترم شعوره ونستمع اليه ينشد بنشوة المأخوذ :

سلي فؤادي كم يلقى وكم يجد
يذوب شوقا ولا يدري به أحد

يطول ليلي من شوق فأحسبني
كأن ليلي لا يرجى له أمد

كم جئت مقتضيا عينيك ما وعدت
واخلفت في الهوى عيناك ما تعد

وكم بنيت الاماني في هواك وكم
تركت هذي الاماني عنك تبتعد

خلفت في مهجتي حزنا يضج بها
وجمرة في حنايا الصدر تتقد

وبت تغفين ملء العين ناعمة
وبت وحدي بالاحزان انفرد

اشرعة الحب تقضي أن نذوب هوى
وغيرنا في بقايا الحب قد سعدوا

قد لذت بالصبر حتى عز مصطبري
ولذت بالرشد حتى خانني الرشد

سيسلب الدهر مني كل غالية
وحبك البكر لا يدري بهأحد

ونحن نرى – كما ولا شك ترى ايها القارىء – ان ليس في هذا الغزل ما ينبو به السمع أو ينافي حرمة الادب ، بل هو يدعو الى الذاكرة قول عنترة :

واغض طرفي ان بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

فهل من مشاحة اذا وضعناه في مستوى الشعر الذي يقدس الفضيلة ويدعو الى مكارم الاخلاق ؟ وهل ثمة ما يعلو على كتمان سر هذا الحب في قوله : وحبك البكر لا يدري به أحد ؟. صحيح ان شعراء الغزل لا ينتمون الى مدرسة واحدة وشعرهم لا يجري على نهج فرد ، ولكن مدحة لم ينحدر ولا في قصيدة الى حضيض التبذل والقول الرخيص بل ظل من اول بيت في الديوان الى آخر بيت محافظا على عفة الكلمة وبراءة النظرة وطهارة الوجدان . وهذا ما يغري بمصاحبته الى نهاية المطاف ويدعو الى الاصغاء اليه بخشوع وهو يتمتم :

يا شال ، يامغناج يا اخضر
ناشدتك النعمى اما تسكر ؟

يا ناعما حل على ناعم
ومزهرا يدري به مزهر

حدث حديث اللين عن موسم
يضوع منه المسك والعنبر

يا شال ما نيسان ، ما ورده
في جنب ما تخفي وما تظهر ؟

سترت يا فتان من شعرها
من حسنه – يا طيب ما تستر

جادت لنا نعماك في خصلة
شقراء . ما احلاك يا اشقر !

يا شال حسبي في الهوى انني
أهيم بالحسن ولا أظهر

أذوب في دنياك من لوعتي
وأنت بي يا شال لا تشعر

مرة ثانية تعود الى الذهن صورة عنترة يقول لجارته ما يقول . ومرة أخرى نستجيد قول شاكر مصطفى : ان الشاعر اسطاع في هذه الصفحات ان يغني قلبه أغاني الحب كأحسن ما غنى المحبون وان يصلي مخلصا للجمال كأخشع ما صلى العابدون . ونحن نزيد ان هذا الديوان على صغر حجمه درة لماعة في جبين الشعر العربي يرفع صاحبه الى مرتبة الشعراء العذريين من أمثال مجنون ليلى وجميل بثينة وغيرهما من الذين نزهوا ألسنتهم عن نزوات الهوى وجموح العاطفة وجهامة الضمير . فله منا ألف تحية وألف تهنئة .

زكي قنصل — **بونس أيرس**



المدار

لممدوح السكاف

باردة خيام الليل ، شاردة خطى البيداء
في البيداء يهمر عاشق المزمار أغنية تعطرها
مروج الشيح
صاغ لحونها من نهنهات الوجد
ساهمة نجوم النخل ، والاحزان فارعة
وليلى طار معصمها الى المحبوب عتقه بقبلته
الربيعيه

* * *

أعري الحلم من الوانه الميساء في جفني تكسرها
أعريها كسارية
وافتتح القصائد باسمها أبدا
على المرساة أحملها نشيدا ساحلي الرهو
مزهوا برجع الموج
أمتشق الخصوبة من يباس الارض
تحت حفيف نعليها
أعمدها اذا ما شئت مثل منارة في اليم
أحضنها بلا لين
وأنشر فوق نهديها شباك الصيد
أسألها عن اسم كان ،
في قيد النفوس الضائع الاثري يسكنها
فلا تدري
أذكرها بأني كنت اعشقها زمانا لست أحصره
ملايينا من السنوات ، عد الرمل في الصحراء
لا تدري
أقول لها : نسيت الخبز والزيتون ، زنبق حقلنا
البري يا ليلى
فتلوي من مواجعها
وتسقط في مدامعها النجيعيه

* * *

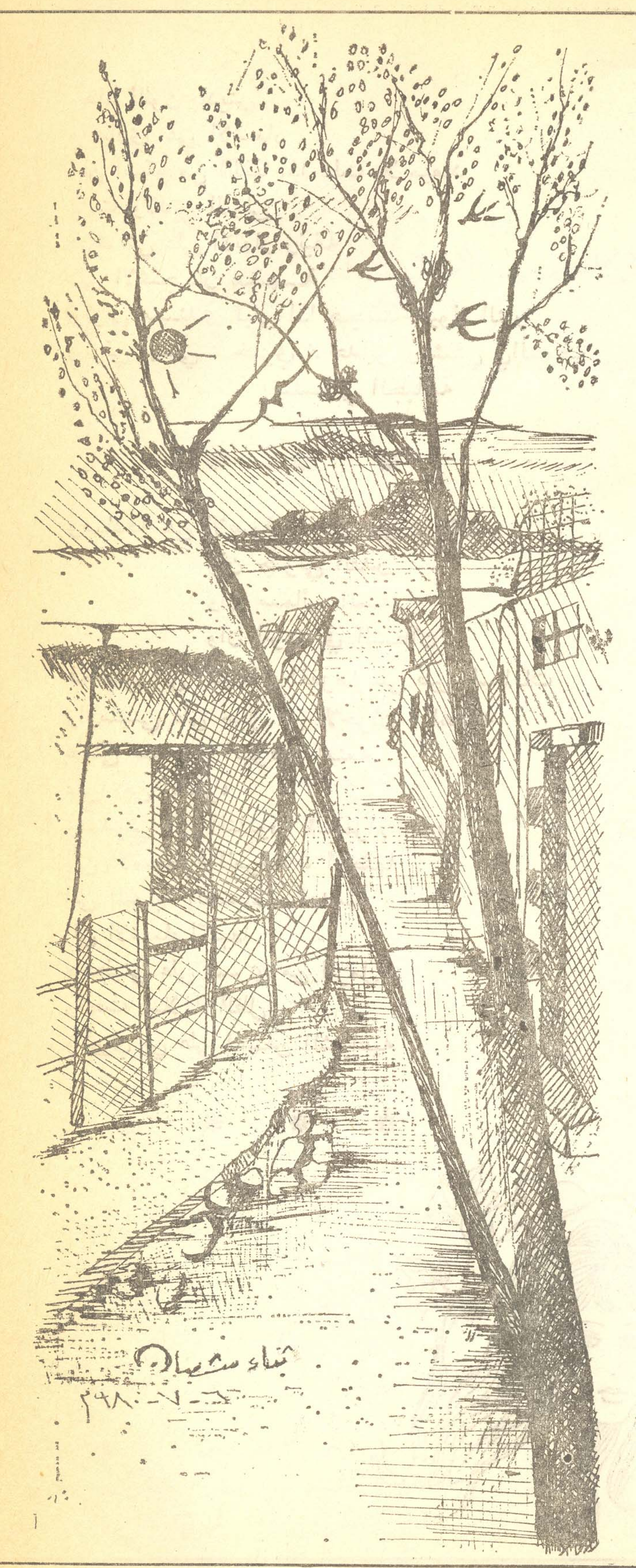
لو اني عنك معتقلي وسجن من حديد الهم :
ــ هل زارتك أسراب الطيور القادمات من الجزائر
في صباحات البراءة ، والسفار الحالم النديان
أم عرفت بأنك مثل فارسك المطوح في الصحارى الشهل
تحتبسين نفسك في شرار البرق واللمع السديميه؟!

* * *

عشقتك خلصي قدمي من الاشواك يا ليلى وضميني
خذي بيدي واحميني
أنا الكهف الذي ما زال لم يشرع على الشمس
فطيري في شراييني
وغلي في مساماتي
تلاقينا على أهد من الترحال مجنون
فسرحني على خديك عطر غامر الهبات
أسلمني الى الهيمان : صوفيا وصوفيه
فكوني رفة في الجفن
كوني دمعة في العين ،
أذرفها على نعش الخيالات السرابيه
وكوني ناقة في البيدر تردفني على جمل
العشيات الخرافيه
أكن عبدا رسوليا
أطيع سماءك الصغرى
أصلي في محاريبك
أمني النفس ان أنسى ، اذا ما جزت
بستان الرؤى الخضراء في عينيك والمقل السمائيه،
براكيني الجحيمية

* * *

وكلمني عن الوطن
صبي اسمه النهر
دعاني فاستجبت له واغرقني بأمواجه



غرقت ، غرقت ما أحلاه من غرق
أنا في الماء منزرع ، جبيني خصلة الشفق
وعيناي اخضرار الطحلب الريان
كلمني عن الدار
وعن حراسها الناموا
وكلمني عن الضفه
وعن ديك الصباح وعرفه الدموي
كلمني عن الموت
وكلمني عن المقل الدموعيه
هويت وغصت للقاع
وأعشب جوع عينيه

* * *

ومنتهب أنا والسيف ، مختطف دمي شفقا
وموجعة هي العربات أركبها بلا فرس فلا تجري
ومرتجف من الثلج الذي يهمي على كبدي
ومطعون بخاصرتي
فآه وآه من جسدي
وآه وآه من طير الصبور وخفقة القلب الفراشيه

* * *

ولكني نفضت رماد أيامي :
ـ أمنتظر وميض الريح في صمت المتاهات
ومنتظر صهيل جوادي المقرور
أن يختال في الصحراء
أغنية ترن على وهاد العشب مفعمة سديميه ؟
ومنتظر هطول الحب في قلبي
وقد رثت به الآفات
شاخت بيض أحلامي ؟

* * *

وكاذبة هي الاصوات : ان فروعي الشجر
وان دموعي المطر
وان حضوري القمر

وهذا اللون باديتي
وأنهاري هي الاشعار
ولن أشكو من اللقيا اذا هلت بلا ميعاد
فأنت ولادتي الاولى
فرشيني على الانهار زنبقة
على الاشجار هسهسة
وكوني مسندي ليلى اذا هجمت خيول النار
وكوني لهفتي ، خبزي ، حدائق رعشتي في الخوف
سلسلتي الجباليه

* * *

وصادقة هي الاصوات : ان عبوري الشرر
وان جنوني القدر
وان سمائي السفر
وان الوعد في الشطآن
فمديني الى الشطآن أقفزها على طير المسافات
وارسيني على جبل من الاحزان ، اهدمه
على سد من الطوفان أمنعه
على زمن أسمره
وشديني الى النافورة الحمراء أشربها
الى الاسطورة العرقاء ، أمحقها
الى البوابة الحدباء ، اهدمها
الى الاشياء أكتبها
وحطيني على مسرى من الرمل
وتحت سلافة الظل
وطيري بي على السفن الشراعيه

* * *

قطاري عائم في النهر ، نهري اسمه الوطن
على تسبيحه أسري وأدلج في لياليه
أفاوض حزني المخمور يصبح حزني الباسم
وشوك جبيني المصفور يورق سوسنا هائم
وليلى اسمها الوطن
على تسبيحها أسري وأدلج في لياليها
أوسدها على مرج من الاسماء عارية
لتصبح من سراب الضوء عارية
أحدق في مفاتنها وارتعش
وأذهل : يا عطايا الرب في جسد حريري ..
وأسألها عن اسم كان يسكنها
وتهتف : اسمي الوطن
وليلى الآن غارقة بأوجاع المخاض الصعب
تهمس في شراييني :
ــ حبيبي اسمه النهر ..
ــ ونهري اسمه الوطن

* * *

باردة مرايا الليل ، عاطرة خطى البيداء ،
في البيداء يزفر عاشق المزمار أغنية من النارنج
صاغ لحونها من وشوشات البوح
حارقة هي الاشواق ، والاحزان حارقة
وليلى عاد معصمها الى المحبوب يفديه بقبلته الربيعيه

● **ممدوح السكاف ــ حمص**



المقامات في الأدب العربي

بقلم : عبدالعزيز الوسيع

حديثي عن (المناظرة بين العلم والجهل) اثار في نفسي دوافع للحديث عن المقامات وسبب ذلك ان علاقتي بالمقامات قديمة تعود الى أيام دراستي العالية فقد كلفت باعداد بحث عن المقامات في الادب العربي وقمت باعداده في اكثر من خمسين صفحة . وساعدتني على ذلك طرافة البحث ودقة المراجع وقد كان بحث المقامات من الابحاث التي اعتز بها اعتزازا كبيرا وان كنت لم احتفظ بصورة منه لان استاذنا وعد باعادة الابحاث ثم صرفته صوارف عن الوفاء بوعده وبذلك ضاع هذا البحث الطريف .

ثم ان الحديث عن المقامات فيه تذكير بلون من تراثنا الادبي الضخم والقاء للضوء على جوانب فيه نجاح الى هذا الضوء لتبيان ما فيها من فن وجمال يرى بعض الباحثين ان اصل المقامة في اللغة كالمقام موضع القيام كمكانه ومكان وقد استعملت في المجلس استعمال الاضداد وانتقلت من هذا المعنى الى الجماعة المجالسية ثم اطلعت المقامة على الحديث الذي يقال في المجلس واخيرا قصر على هذا اللون المردف في الادب

ورأى باحث آخر ان (اصل كلمة مقامة اسم مكان من قام بمعنى اقام والمعنى انها موضع للاقامة ثم انتقل من هذا المعنى الى الكلام الذي يمنى به مجلس من المجالس فتكون من اطلاق المحل على المحال .)

واختصر باحث اخر الموضوع فقال ان المقامة لغة المجلس والجماعة من الناس ثم اطلعت في عصر بني امية وصدر الدولة العباسية على مايحكي في المجالس من القصص والسير وكل ما يكسب السامعين علما وادبا ثم شاع استعمالها على مايقصه الكدية ومن الادباء بلغة عربية صحيحة .

هذا أصل كلمة المقامة ولكن الذي احيا هذه الكلمة وجلها من الكلمات الخالدة في تاريخ الادب العربي هو بديع الزمان الهمذاني ولكن الباحثين لايقفون عند هذا الحد بل يذهبون يتلمسون الجذور الاولى لهذا الفن فيقرر الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني ان بديع الزمان ليس منكر فن المقامات وانما ينكره ابن درين المتوفى سنة ٣٢١ نصا طويلا فعله من كتاب زهر الآداب لابي اسحق المصري ورد فيه (ولما رأى - بديع الزمان - ابابكر محمد بن الحسين بن دريد الازدي اغرب باربعين حديثا . . عارضها باربعمائة مقامة في الكدية) .

ويعلق زكي مبارك على ذلك فيقول (وقد دهش المسيو وسية حين عرضت عليه هذا النص في باريس وعجب كيف اتفق الناس مع هذا على أن بديع الزمان هو منشىء فن المقامات ثم سألني الايمكن الارتياب في

قيمة كلام الحصري في هذا الموضوع فاجبته بانه تحدث باسلوب يدل على انه كان مفهوما في اوائل القرن الخامس ان بديع الزمان انما عارض ابن دريد وحاكاه. فارتضى هذا الجواب ثم قال يظهر انه ضاع علينا من تاريخ الادب العربي شيئا كثيرا) .

ويستطرد زكي مبارك فيقول : (وقد واصلت البحث لارى صدى هذه الفكرة من مؤيدات القدماء فلم أجد من افردها بجهد خاص وان كنت رايت ياقوت الحموى نقل ماكتبه صاحب زهر الاداب حين ترجم لبديع الزمان ونقل ياقوت لهذا النص من غير تعقيب مظهر من مظاهر القبول .

ويواصل الحديث قائلا : (وعندي ان من اسباب غفلة مؤرخي الآداب عن كشف هذا الخطأ ان ابن دريد سمى قصصه احاديث في حين ان بديع الزمان سمى قصصه مقامات) .

ويظهران الدكتور زكي فتن فتونا عجيبا باكتشاف هذا النص فعرضه على الدكتور طه حسين الذي دهش حين اطلعته على ما وصلت اليه في تحرير هذه الفكرة وقال ان ابن دريد كان رجل لغة ورواية ولم يعرف عنه انه كان كاتبا ممتازا فكيف اثار بديع الزمان بما ابتكر من الاحاديث ثم عاد فقال ارجع الى كتاب الامالي القالي وانظر الاحاديث التي نقلها عن الاعراب فان رأيته يروي عن ابن دريد ـ وكان استاذه ـ فاعلم اذن ان الاربعين حديثا التي ذكر صاحب زهر الاداب انه اخترعها لم تكن شيئا آخر طير هذه القصص التي نقلها القالي في كتابه فلما رجعت الى كتاب القالي وجدت حقا ان القصص التي احتواها مروية عن ابن دريد... وان كان هذا الايعين انها نفس القصص التي عارضها بديع الزمان .

وبذل الدكتور زكي مبارك في تأييد فكرته جهودا كبيرة فيتتبع احاديث ابن دريد فيعثر له على ستين حديثا يستبعد منها الاحاديث القصيرة فيبقى له من احاديثه المتشابهة في القدر والوضع والاسلوب قريبا من الاربعين ولايترك سبيلا لتأييد رأيه الاسلكه.

ولايتسع المجال لاستعراض كل ماكتبه بهذا الصدد ولكن الطريف في الموضوع هو ان كل المؤلفات التي صدرت بعد صدور كتاب الدكتور زكي مبارك ـ النثر الفني ـ نسبت اختراع المقامات الى ابن دريد الازدي باعتبار ان ذلك امر معروف مسلم به ولم يتحدث واحد منها جهود الدكتور زكي ولم يشر اليها من قريب او بعيد باستثناء باحث واحد هو الدكتور شوقي ضيف الذي حرص الحرص كله على دحض حجج الدكتورزكي مبارك وعلى انكار هذه القضية جملة وتفصيلا والغريب انه ادار بحثه حول حديث الحصري وتجاهل الدكتور زكي مبارك تجاهلا تاما ويقول وقد زعم الحصري ان بديع الزمان الف هذه المقامات معارضة لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ اذ يقول ان البديع (لما رأى ابا بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي اغرب باربعين حديثا وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره وابداها للابصار والبصائر واهداها الى الافكار والضمائر في معارض حديثه والفاظ عنجهية فجاء اكثرها ينبو عن قبول الطباع ولاترفع له حجة الاسماع ... عارضة باربعمائة مقامة في الكدية تذرب صرفا وتقطر حسنا) .

ويعلق الدكتور شوقي ضيف قائلا (على انه ينبغي ان نتلقى كلام الحصري بشيء من الشدة وخاصة وان أحاديث ابن دريد لم تصلنا كما لاحظ ذلك بروكلمان وزيدنا شكا واتهاما ان ما رواه صاحب الامالي عن ابن دريد كتابه يدل ـ من بعض الوجود ـ على أن احاديثه كانت تخالف مقامات الهمذاني في موضوعها ومن يدري ربما ساق الحصري ماساق عن ابن دريد لبدل على مبلغ تفوق الهمذاني على شيخ اللغة الحذوقين وخاصة انه كان يتعصب لبديع الزمان فهو يوازن بين صنفيهما ليشهد للبديع بتفوقه .

ثم يخلص من مناقشته الى القول (من اجل ذلك كنا نميل الى الوقوف مع الحريري اذ يقول في مقدمة مقاماته قد جرى ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى ان انشيء مقامات اتلو فيها تلو البديع) فالحريري رأى ان المقامات من ابتكارات بديع الزمان وحق مايراه فانه لايعرف ان احدا قبل البديع كتب قصصا في وصف احوال اصحاب الكدية وايضا لايعرف ان احدا سمى قصصه باسم المقامات قبله .

والغريب ان الدكتور زكي مبارك يقول عن هذه النقطة وفي رايي ان الحريري هو الذي اذاع هذا الغلط ثم آن الناس يقدره اذ كان اشهر من اقبل الجمهور عليهم

من كتب المقامات وهو في مقدمة مقاماته ينسب الى بديع الزمان فضل السبق .

ولايكتفي الدكتور شوقي ضيف بذلك بل يعود ليقول (على كل حال من المبالغة ان يربط باحث بين مقامات البديع وبين احاديث ابن دريد لمحرر نص الحصري) .

ومع حبي للدكتور زكي واعتزازي باستاذيته وتقديري للروابط التي كانت تربطني به فانني أرى ان الحق مع الدكتور شوقي ضيف ويستطيع ان يلمس ذلك من يقرأ الفصلين اللذين كتبهما الدكتور زكي نفسه في النثر الفني عن مقامات بديع الزمان واحاديث بن دريد وان كانت من الامور التي تستلفت النظر ان الغالبية العظمى من المؤلفين تابعت الدكتور زكي على رأيه في ان البيديع قد تأثر بابن دريد . ولم يشذ كما رأينا الا الدكتور شوقي ضيف . كما ان من الامور العجيبة ان يجمع المؤيدون والمخالفون على تجاهل الدكتور زكي وتناسى فضله مع ان ماكتبه الدكتور زكي عن بديع الزمان والمقامات يعتبر اوسع ماكتب حول هذا الموضوع وهكذا فان الناس يحرصون على غمط الاشخاص الذين يحاولون ان يظهروا انفسهم وان يشهروا شخصياتهم معتمدين على اساليب لاتستسيغها الجماهير .

رحم الله استاذنا فلقد اضاف الى تراث امتنا الخالد مجموعة من الجهود الضخمة والاراء المبتكرة والبحوث القيمة ولقد ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته بكتاباته النقدية التي كانت تثير العواصف والزوابع في دنيا الادب فيجدد الكتاب وينشط القراء ويرقي الفكر وتزدهر الثقافة . ولكنه ـ رحمه الله ـ كون مجموعة ضخمة من الاعداء والحاقدين غرس في قلوبهم النقمة عليه فتآمروا على تحطيمه وتواطؤا على الحط من شأنه وكانوا كلهم من كبار الرجال الذين يملكون الجاه والمركز والنفوذ والكلمة المسموعة . وماذا لديه في حياته حتى أصبح منبوذا وغدا يعمل بالاجر اليومي كالعامل والاجير وقضى سنواته الاخيرة يتجرع الغصص ويشرب كؤوس الالم والندم . حتى سقط على رصيف في شارع عماد الدين فشج رأسه وفارق الحياة ومكائد الاحياء . وقد تأثر أدبه بهذه الحرب فاختفت كتبه عن الانظار وضاع صوته بين ضجيج المعركة . ولكن التاريخ لن ينسى ولدبه يذيب الحسد وتموت العداوة وتختفي المطامع سيعود ادب زكي مبارك ليحتل مكانه اللائق .

ونعود الى قضية ابن دريد وبديع الزمان لنضيف رأيا جديدا لعله يفسر سر حماسة الدكتور زكي مبارك لرأيه حول تأثر بديع الزمان بابن دريد .

يخيل الي أن اكتشاف النص في زهر الاداب ليس هو السبب الجوهري لاندفاع الدكتور زكي في تأييد فكرة التأثر فهناك سبب آخر هو تحمس زكي المبارك للعربية تحمسا قد يدفعه الى التعصب لكل ماهو عربي جذما وأرومة وابن دريد عربي صافي النسب من أزد عمان من قحطان فهل حرص الدكتور زكي على ان تنسب اولية فن المقامات الى عربي واضح العروبة بدلا من ان يذهب بالفخر كله اديب تجري في دمائه عروق قادسية لبديع الزمان .

على ان من المؤكد ان الدكتور زكي لايود ان يعرف عنه هذا الاتجاه لما فيه من اتهام بالعصبية وضيق الافق . ولكن المتتبع لكتابات الدكتور زكي سيلحظ هذه الفكرة التي نتحدث عنها . ومن مفاخر الدكتور زكي حبه لعروبته ودفاعه عن العربية وتبنيه فكرة نشر اللغة العربية في كل المجالات وقد بذل جهودا مشكورة مقدورة في تعريب الطب وفي جعل اللغة العربية اللغة الاساسية في كليات الطب .

قلت فيما سبق أن مؤرخي الأدب ينقسمون فيما يختص بأولية المقامات الى فريقين : فريق يرى ان بديع الزمان الهمذاني هو المبتكر الاول للمقامات ، ويضم هذا الفريق المستشرقين وعددا كبيرا من المؤرخين العرب وفريق يرى ان واضع الاسس الاولى هو ابن دريد العالم اللغوي المشهور ويتزعم هذا الفريق الدكتور زكي مبارك وكثير من مؤرخي الادب المعاصرين .

وهناك فريق ثالث يرى أن الفضل الاول في ابتكار المقامات لايعود الى ابن دريد ولا الى بديع الزمان وانما يعود الفضل الى ابن فارس ويختص بهذا الرأي العلامة جرجي زيدان ولم أر أحدا من المؤرخين السابقين او اللاحقين يؤيد هذا الرأي من قريب أو بعيد فهو رأي اختص به جرجي زيدان حيث يقول وهو يحصي مؤلفات بديع الزمان (مقامات تعرف باسمه وهي أقدم كتاب وصل الينا في هذا الفن من فنون

اللغة وهو اول من وفاه حقه وجعله علما وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره) .

وقد رجعنا الى ترجمته عند جرجي زيدان فوجدناه يؤكد ماذكره عن فضل ابن فارس في وضع المقامات يقول عن ابن فارس (هو ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حمد بن حبيب الرازي كان اماما في علوم شتى وخصوصا اللغة وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني كما تقدم وتبعه عليه الصاحب بن عباد وكان أستاذ عصره .

وقد حاولت ان اهتدي الى المصدر الذي استقى منه جرجي زيدان هذه الفكرة اذ كنت استبعد ان يكون قد وصل اليها نتيجة بحث مستقل او دراسة خاصة فهو مؤرخ اكثر منه باحثا ومن اجل الوصول الى ذلك اضطررت ان ارجع الى طائفة من المصادر اشار هو الى بعضها ولم يشر الى البعض الآخر . وبعد جهد طويل عثرت على نصين ورد أحدهما في وفيات الاعيان لابن خلكان وورد الثاني في تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان .

اما النص الوارد في وفيات الاعيان فيقول (ابو الحسن بن أحمد فارس بن زكريا بن محمد حبيب الرازي اللغوي كان اماما في علوم شتى خصوصا اللغة فانه اتقنها وألف كتابه (المجمل) في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئا كثيرا وله كتاب حلبة الفقراء وله رسائل انيقة ومسائل في اللغة وتعانى بها الفقهاء ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات الآتي ذكره ان شاء الله تعالى ذلك الاسلوب ووضع المسائل الفقهية في المقامات الطيبية وهي مائة مسألة وكان مقيما بهمذان وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات) .

أما النص الثاني فيقول في استعراض كتب ابن فارس (١٦ ـ كتاب المسائل أو فتيا فقه العرب ومن هذا الكتاب اقتبس الحريري مادة المقامة الثامنة والثلاثين) .

ويبدو أن بروكلمان استقى المعلومات التي ذكرت في النص الذي أوردناه عن السيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللغة وانواعها) فقد عقد السيوطي فصلا سماه (الفصل الثالث في فتيا فقه العرب) وصوره بقوله : وذلك ايضا قريب من الالغاز وقد ألف فيه ابن فارس تأليفا لطيفا في كراسة سماه بهذا الاسم رأيته قديما وهو ليس عندي الآن فتذكر ما وقع من ذلك في مقامات الحريري ثم ان ظفرت بكتاب ابن فارس المفتي ما فيه ، ثم ينقل السيوطي المقامة الثانية والثلاثين من مقامات الحريري .

ونلاحظ أن كل النصوص التي أوردناها وهي كل ما أمكن العثور عليه في المراجع الاساسية لهذا الموضوع كلها تشير الى أن الحريري استفاد من كتاب (المسائل او فتيا فقه العرب) في اعداد مقامته (الطيبية) وقد ذكر ذلك صراحة صاحب وفيات الاعيان فقال بوضوح (ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الاسلوب) أما بروكلمان فمع انه استفاد معلوماته من نص السيوطي وهو نص لا يؤكد بوضوح أخذ الحريري عن ابن فارس فانه يؤكد هو الآخر أن الحريري اقتبس مادة المقامة الثانية والثلاثين من كتاب المسائل أو فتيا فقه العرب .

ونعود بعد هذا الى جرجي زيدان والى ما قرره من أن بديع الزمان اقتبس فن المقامات من استاذه ابن فارس اللغوي وللاخير (فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني) كما يقول جرجي زيدان

نعود الى هذه القضية فنجد ان النصوص لا تؤيد اطلاقا دعوى جرجي زيدان فكل ما يستفاد من النصوص هو أن الحريري ـ وليس بديع الزمان ـ اقتبس المعلومات الفقهية التي أوردها ابن فارس في صياغة مقامته (الطيبية) .

يبقى بعد ذلك موضوع الرسائل التي يشير اليها جرجي زيدان . وليس لابن فارس رسائل مطبوعة في كتاب مستقل وانما توجد رسالة واحدة اوردها صاحب قيمة الدهر وأوردها صاحب معجم الادباء . وفقهنا ناشر كتاب الصاحبي لابن فارس في مقدمته التي كتبها للكتاب وموضوع هذه الرسالة (في المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمولدين) . وقد قرأت هذه الرسالة بتدقيق وامعان فأعجبني فيها سعة أفق ابن فارس وتحرره مما قد يلتزمه غيره من علماء اللغة حيث يتصدرون للقديم ويحاربون كل جديد . كما اعجبني أسلوبه الرائع وطريقته البديعة ورقة طبعه ونفاذ فكره وقدرته الفائقة على التمييز والنقد .

ولكنني أطلت التأمل في الرسالة مرة اخرى على أعثر فيها على ما قد يؤيد وجهة نظر العلامة جرجي زيدان من أن ابن فارس يستأثر بفضل ابتكار المقامات وان الهمذاني تابع له متأثر به فلم اعثر على شيء يمكن الاعتماد عليه . فابن فارس يفاضل بين الشعر القديم والشعر الحديث ويناقش القضية مناقشة تدل على فهمه وتمكنه ويخرج من هذه المناقشة بالنتيجة التي يريد وهي أن للشعر الحديث مزاياه وانه من الظلم أن يهمله الرواة والنقاد .

هذا هومضمون الرسالة فليس فيها أي علاقة في الاسلوب أو الطريقة بينها وبين المقامات بصورتها المعروفة الا اذا كان العلامة جرجي زيدان قد لاحظ أن بديع الزمان قد تعرض في بعض مقاماته لبعض القضايا الشعرية ؟ واذا صح ذلك فان العلاقة تظل ضعيفة ومتهافته .

ويغلب على ظني ان جرجي زيدان قد أساء فهم القصص الواردة وتصور القصة على غير صورتها الحقيقية فالقصص تشير الى ان الحريري استفاد من بعض كتب ابن فارس في صياغة احدى مقاماته . فسبق الى وهم جرجي زيدان أنه ما دام الحريري قد استفاد من ابن فارس والحريري مقلد لبديع الزمان وهذا الاخير تلميذ لابن فارس فيصبح الهمذاني مستفيدا من ابن فارس ومقلدا له وخاصة وأن صاحب وفيات الاعيان قد أضاف جملة قد تزيد هذا الفهم وهي قوله (وكان ـ ابن فارس ـ مقيما بهمذان وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات) .

وان كان من المؤكد ان صاحب وفيات الاعيان لا يقصد هذا المعنى الذي فهمه جرجي زيدان فكل مايريده صاحب الوفيات هو أن يقول أن ابن فارس كان مقيما بهمذان وانه كان استاذا للبديع الهمذاني وكلمة (اشتغل) تعني درس وأخذ وتلقى علومه ولا تعني اطلاقا هذا المعنى الذي وصل اليه جرجي زيدان .

عـدد المقامات :

يختلف الباحثون في عدد المقامات فيذهب اكثرهم الى أن عددها اربعمائة مقامة وحجتهم ما ذكره أبو اسحاق المصري في زهر الآداب ويذهب باحث آخر هو الدكتور زكي مبارك الى أن عددها خمسون فقط وحجته أن بديع الزمان عارض الاحاديث الاربعين لابن دريد والمعارضات ـ كما يقول زكي مبارك ـ كانت تتقارب في الكمية .

والحجة الاخرى فهي لأن مقامات البديع لم يحفظ منها غير خمسين ويستبعد الدكتور زكي ان يضيع من آثاره خمسون وثلاثمائة مقامة مع أن آثاره لم يضع منها الا القليل .

اما الحجة الثالثة فهي أن الحريري في معارضته لبديع الزمان لم يتسنى غير خمسين مقامة (ثم صار عدد الخمسين هو الرقم المتبع فيما كتب في هذا النوع من الاقاصيص) .

ونحن نميل الى رأي الدكتور زكي ونضيف الى الحجتين الاخيرتين ـ وهما الحجتان الجديدتان بالاعتبار ـ حجة أخرى وهي ان الاعجاب الكبير الذي قوبلت به مقامات البديع حين ظهورها دفع الناس الى تسجيل هذه المقامات وحفظها وهذه العناية كان يجب ان تحرس هذه المقامات وان تحول دون ضياعها .

المقامات وأثرها :

فتن الناس فتونا عجيبا بمقامات بديع الزمان وزاد من افتتانهم ظهور مقامات الحريري فتلقاها الادباء بالقبول واصبحت نموذجا يحتذا به والغريب أن البديع استطاع ان يسيطر على الادباء اكثر من تسعة قرون فقد التزموا الاسس التي وضعها البديع كالتزام السجع والاقتصار على بطل واحد .

وقد وجه الباحثون نقدا شديدا الى كتاب المقامات وخاصة بديع الزمان ، اما انا فلا أرى موجبا لتوجيه اي نقد لبديع الزمان فحسبه انه ابتكر هذا اللون من الفنون الادبية دون سابق مثال . وكان المفروض ان يدخل الادباء بعده عليها ألوانا من التحسين والتطوير حتى تصل الى مستوى القصة الحديثة ولكن شخصية البديع استطاعت أن تسيطر على الادباء بعده وأن تحول بينهم وبين ان ينفلتوا من القيود التي وضعها يرسخون فيها دون ان يبذلوا اي محاولات جادة للخلاص منها .

مكتبة المقامات :

وكان المظنون ان المقامات التي كتبت بعد البديع محدودة العدد ولكن ظهر بعد البحث ان المقامات التي كتبت منذ عصر البديع الى الآن تكون مع شروحها والتعليقات عليها وما كتب حولها تكون مكتبة كاملة . وقد راعني وانا استعرض بعض كتب التراجم ما لاحظته من ان كثيرا من المؤلفين عنوا عناية فائقة بهذا اللون الادبي فألفوا الكثير من المقامات .

ومما يذكر في هذا المقام ان كلمة المقامات ظلت من الكلمات الخالدة في تاريخ الادب وظلت مستعملة استعمالا قويا منذ عصر البديع حتى ايامنا هذه .

ويخطر ببالي بهذه المناسبة ان كاتبا معاصرا كتب كتابا سماه (المقامات) وقد كتب عنه صديقنا الاديب الباحث كلمة في العدد (١٣٦٢) الصادر في ٤ـ٣ـ١٣٩٣ هـ جاء فيها :

أقول الحق انني قرأت الكتاب من عنوانه لم أجد في نفسي ـ بادىء الامر ـ الباعث القوي على قراءته القراءة الجادة . وذلك فيما اعتقدنا شيء من رد الفعل المترسب في مقالي الباطن عن كل نمط قديم غير ناجح في ميدانه وكل نتاج جديد جاء تقليدا عاريا من التجديد الا أن الشيء الذي استهواني لقراءة هذا الكتاب انه نمط جديد في المقامات التي نضت عنها أسمال التقليد أو كادت وجعلت المضمون شيئا يعبر بصدق عن التأثرات الانفعالية بواقع المجتمع واحداثه الحياتية في أنماطها المختلفة المتباينة ..

وليسمح لنا الصديق الباحث ان نداخل معه في مناقشة هادئة حول هذا الموضوع فهل كانت المقامات نمطا قديما غير ناجح في ميدانه ؟

لقد جن الكتاب والمتأدبون بهذا اللون جنونا عجيبا كما سبق ان قلناه لو جمعنا كل المقامات التي كتبت على توالي العصور مع شروحها والتعليقات عليها لاوجدنا مكتبة كاملة وهل يريد صديقنا الكاتب نجاحا أفضل من هذا النجاح ؟

واذا كان يقصد بعدم النجاح قضية (المضمون) وكيف ان المقامات لم تكن (تعد بصدق عن التأثرات الانفعالية بواقع المجتمع وأحداثه) فان ذلك يقودنا الى مناقشة قضية ادبية اخرى هل الادب أو الفن وعلاقته بالمجتمع وبعبارة اخرى : هل الفن للفن أم الفن للحياة ؟ واذا كان الصديق الاستاذ يؤمن بقضية الفن للحياة كما يظهر من كلامه الذي تعلمناه آنفا فهل نستطيع ان نعرف رأيه فيما حفلت به الآداب العالمية ومنها الادب العربي من ألوان ادبية كثيرة لاعلاقة لها بالمجتمع فهل يعتبر هذه الالوان خارجة عن نطاق الادب . ولو حاولنا التخلص من هذه الالوان بانتزاعها من الآداب العالمية فكم يا ترى ستستمر هذه الآداب ؟ وكم يا ترى سيبقى من قيمتها بعد فقدان هذه الاجزاء الهامة ؟

وانا لا اريد ان أوسع دائرة البحث حول هذا الموضوع ولذلك فسأكتفي بمناقشة الاديب الصديق في نقطة تتصل بأدبه . فقد قرأت في كتابه القيم (شعراء غير المعاصرون) طائفة من قصائده ولاحظت ان قسما من هذه القصائد يخرج عن دائرة الادب للمجتمع فهي قصائد غريبة وما الذي سيكسبه المجتمع من شاعر يتغزل في محبوبته وأي نفع سيعود عليه .

أظن ان صديقي الكاتب الشاعر من المؤمنين بنظرية الفن للفن فاذا كان هذا الافتراض صحيحا فانني استطيع ان اقول على هذا الاساس ان المقامات لون

ادبي فيه فن وفيه متعة ذوقية وعقلية وان من الظلـم ان نحرم ناشئتنا من ذخائر ادبية لها وزنها وقيمتها .

ونعود مرة أخرى نتساءل : وهل خلت المقامـات من أي مضمون اجتماعي ؟

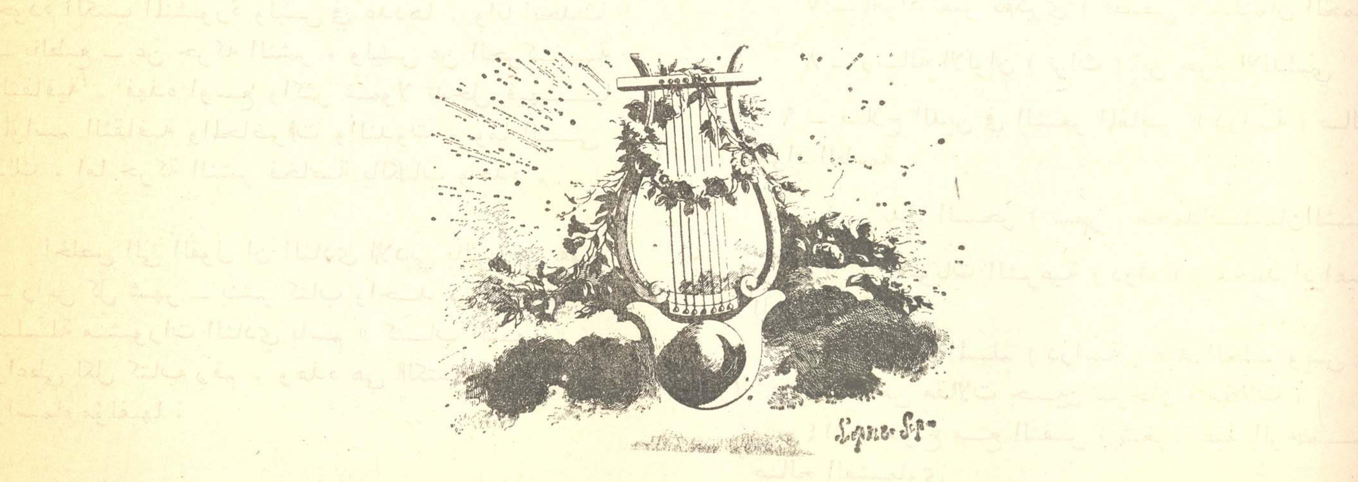
ونستطيع أن نجيب بأن المقامات لم تخل من ذلـك ولكن المشكلة هي ان هذه المقامات لم تدرس الدراسـة الوافية . ولم أجد احدا من الباحثين عرض لهـذه المقامات بالدرس والتحليل وربما كان الدكتور زكـي مبارك هو الباحث الوحيد الذي اولى مقامات البديـع الهمذاني شيئا من عنايته . ونقول (شيئا) لانه لـم يدرسها دراسة وافية وقد اوضح ذلك بصراحـة في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) حيـث يقول :

(وخلاصة القول أن مقامات بديع الزمان تحفة مـن تحف النثر الفني في القرن الرابع وقد أردنا ان نطيـل بها التطواف ليتعرف اليها القارىء فقد كان مفهوما عند كثير من الناس انها ألاعيب لفظية ليس فيها مـن المكان ما يستحق الدرس ولكنا بعد مواجهتها مرة ومرة رأينا فيها من امارات العقل والذكاء وخفة الروح ما يـوجب الاعجاب وكنا نحفظها في الحداثة غير انا لم نكن ندرك خطرها كما تمثلت لنا في هذه الايام .

في تلك المقامات بعض العيوب ولكن أي عمل سلم سلامة مطلقة من العيوب ونؤكد للقارىء اننا لم نكشف من محاسنها الا القليل فليعد اليها يطالعها في فهـم وروية وليتأمل بصفة خاصة قرار الالفاظ والتراكيب وصوغ الامثال .

وسيرى القارىء في الجزء الثاني لمحات مـن سيرة بديع الزمان وتحليل رسائله والكن ذلك لا يعني عـن العودة الى مقارنة المقامات بالرسائل واستخلاص صور الحياة الاجتماعية لذلك العهد من آثار ذلك الكاتب النجاح) .

عبد العزيز الربيع



حركة النشر في نادي الرياض الأدبي

بقلم : سمر روحي الفيصل

ان تقييم اية تجربة في حقل الثقافة والادب لا يكفي فيه التعداد الاحصائي لمنشورات الاديب او المؤسسة الناشرة ، بل لا بد من قراءة النصوص قبل المباشرة باطلاق احكام القيمة .

وفي حالة النادي الادبي بالرياض لم يكن كافيا ان يضع الاستاذ مدحة عكاش بين يدي ثلاثين كتابا ليكون ذلك تعبيرا عن ان حركة النشر ناشطة في النادي ، وان اسهامه في الحقل الثقافي العربي يستحق التقدير والاشادة . ان القيمة الحقيقية للنادي الادبي كامنة في جودة الكتب المنشورة وليس في عددها . وانا أتحدث — بالطبع — عن حركة النشر ، وليس عن الحركة الثقافية . فهذه اوسع واكثر شمولا تدخل فيها المواسم الثقافية والمحاضرات والندوات ، وما الى ذلك . اما حركة النشر فخاصة بالكتاب وحده .

أخلص الى القول ان النادي الادبي بالرياض يقوم — رأس كل شهر — بنشر كتاب واحد ، ولذا سميت سلسلة منشورات النادي باسم « كتاب الشهر » ، واعطي لكل كتاب رقم . وهذه هي الكتب مع أرقامها وأسماء مؤلفيها :

١ — الحصريات (دراسة) محمد بن سعد الشويعر

٢ — موت على الماء (قصص) عبد العزيز مشهري

٣ — صور عربية من اسبانية (رحلات) عبد الله محمد الشهيل

٤ — ابن طباطبا الناقد (دراسة) محمد عبد الرحمن الربيع

٥ — بلادنا والزيت (مقالات) عبد الله بن محمد ابن خميس

٦ — الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب (دراسة) عبد الله الحامد

٧ — امرأة تعبر تفكيري (قصص) سليمان الحماد

٨ — رسالة الالوان (تراث) ابن حزم الاندلسي

٩ — صلاح الدين في الشعر المعاصر (دراسة) صالح جواد الطعمة

١٠ — نداء السحر (شعر) محمد السليمان الشبل

١١ — العقوبات الشرعية (دراسة) محمد ابراهيم الهويش

١٢ — ثقافة المسلم (دراسة) عبد الحليم ويس

١٣ — من مقالات حسين سرحان (مقالات)

١٤ — صراع مع النفس (شعر) عبد الرحمن صالح العشماوي

١٥ — الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي (دراسة) محمد عبد الله الهرفي

١٦ ـ المعارضات في الشعر العربي (دراسة) محمد ابن سعد بن حسين

١٧ ـ الروض الملتهب (شعر) احمد سالم باعطب

١٨ ـ مطلات على الداخل (قصص) علوي طه الصافي

١٩ ـ موجز تاريخ الطب (دراسة) يوسف عبد الله الحميدان

٢٠ ـ نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة (دراسة) نبيلة ابراهيم سالم

٢١ ـ ذكريات باريس (رحلات) عبد الكريم الجهيمان

٢٢ ـ ذكريات وأصداء (شعر) وليد قصاب

٢٣ ـ المرصاد (نقد أدبي) إبراهيم هاشم فلالي

٢٤ ـ الشريف المرتضى (دراسة) محمد ابراهيم المطرودي

٢٥ ـ المبالغة في الشعر العباسي (دراسة) عبد العزيز الشبيلي

٢٦ ـ رسائل ابن كمال باشا (تراث) ناصر أسعد الرشيد

هذه الكتب كما هو واضح ، تضم تفوقا ملحوظا لكتب الدراسات على الاجناس الادبية الاخرى :

١ ـ الدراسات : ثلاثة عشر كتابا
٢ ـ الشعر : اربعة كتب
٣ ـ القصص : ثلاثة كتب
٤ ـ التراث : كتابان
المقالات : كتابان
الرحلات : كتابان

ان طغيان الاهتمام بالدراسات على الانواع الاخرى يشير الى رغبة القائمين على النادي الادبي في ترسيخ جذور سلسلة « كتاب الشهر » عن طريق الاهتمام بأكثر انواع الكتب رواجا وصعوبة وبقاء على الزمن ، اعني كتب الدراسات . صحيح ان المرتبة الرابعة تضم عددا واحدا من الكتب للانواع الثلاثة التالية : التراث ـ المقالات ـ الرحلات ، ولكن هذه المرتبة لا تختلف اختلافا احصائيا له دلالة عن المرتبتين الثانية والثالثة .

لدى التدقيق في كتب الدراسات يلاحظ المرء تفاوتا في الاهتمام بالموضوعات يفسره الجدول التالي :

١ ـ الدراسات الادبية الخاصة بموضوعات تراثية : ثمانية كتب .
٢ ـ دراسات نقد الادب : كتابان
٣ ـ الدراسات الدينية : كتابان
٤ ـ الدراسات الطبية : كتاب واحد .

يشير الجدول السابق الى ان الاهتمام الفكري للقائمين على النادي الادبي بالرياض منصب على الدراسات الادبية المتعلقة بموضوعات تراثية . وهذا يعكس ـ في الوقت نفسه ـ طبيعة الدارسين الذين ألفوا الكتب المذكورة ، وكثرتهم في المملكة العربية السعودية . واذا كان المنحى الفكري لسلسلة كتاب الشهر ما زال يعلي من الماضي فان هذا الامر لا يعد شيئا ايجابيا او سلبيا ، لان مدار الاهمية حول طبيعة الدراسات ، وما تقدمه من عون للدارسين والقراء ، وما تضيفه الى وعي الحاضر من امور لها امتداداتها في الماضي العربي . وهنا يلاحظ المرء ان هذه الدراسات ليست كلاسيكية ، بل جديدة في موضوعها وفي تعاملها مع التراث الادبي العربي . فكتاب ابن طباطبا الناقد ، اول بحث يؤلف عن هذا الناقد العربي المشهور جدا من خلال كتابه « عيار الشعر » . وعلى الرغم من أن الدراسة جزء من كتاب اشد عمقا واتساعا عن الناقد نفسه ، الا ان صورتها الموجودة في الكتاب الشهري رقم ٤ كافية لتقديم اطار عام لاسهام ابن طباطبا في حقل النقد . ولا يخفى على احد ان كتاب « صلاح الدين في الشعر العربي المعاصر » للدكتور صالح جواد الطعمة يلتفت الى تأثير صلاح الدين في الشعراء العرب ، وهذا أمر لم تشهده الدراسات الادبية الا على نحو جزئي . وهذا الكتاب شبيه بالكتاب رقم ١٥ ، المعنون بالحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي لمحمد بن سعد بن حسين . وليس الغرض هنا ان نطلع على موضوعات كل كتاب على حده ، لاننا سنقوم بذلك في نهاية البحث ولكن الغرض هو التدليل على المسارب التي تسير فيها حركة النشر في النادي الادبي بالرياض .

وقد لاحظنا شيئا من الجدة في كتاب الدراسات الادبية ، ويمكننا ملاحظة الامر نفسه في كتب الدراسات التراثية . فرسالة الالوان لابن حزم الاندلسي المنشورة في الكتاب رقم ٨ ليست مجرد تحقيق لرسالة تراثية

وانما هي بعث جديد لرسالة مفقودة يعتقد ان ابن حزم نشرها في كتابه « الفصل » . وقد راح المحققون يستلون الرسالة من مخطوطة كتاب « الفصل » المحفوظة في المكتبة السليمانية باستانبول ، ويعتمدون على الكتاب في شكله المطبوع في بيروت ، وفي القاهرة . ليس هذا وحسب ، بل ان رسالة الالوان تمثل ظاهرة جيدة في تحقيق التراث ، اذ قام عليها ثلاثة محققين اختص اثنان منهم بموضوع الرسالة العلمي . وقد نتج عن ذلك ان تتبع المحققون آراء ابن حزم في الالوان ، وبخاصة السواد ، وراحوا يقارنونها بمعطيات العلوم الحديثة في الموضوع نفسه .. أليس هذا ما نطمع اليه في تحقيق تراثنا الادبي والعلمي ؟..

وهذا لا يعني ان كتب الدراسات على سوية واحدة من الجودة . ففيها الجيد والمتوسط والضعيف . ولا يعني – ايضا – ان الكتب الاخرى غير الدراسية ليست هامة ، ففي بعضها من الجودة والجرأة والدقة في معالجة المشكلات الوطنية ما يجعل المرء يقف مشدوها أمام المعطيات العامة للكتاب . ويكفي ان اذكر الكتاب الهام « بلادنا والزيت » بما تحمله مقالاته – وهي لمجموعة كبيرة من المؤلفين – من معالجة للمجتمع السعودي قبل ظهور النفط وبعده . يبدأ الامر بتدفق الاموال في تأثيره الايجابي ، وينتهي بتدفق الاموال في آثاره السلبية . وما بينهما يقرأ المرء عن الصناعات المحلية التي انقرضت ، وعن الاهتمام بالزراعة الذي اخذ يتلاشى ، وعن الشخصية السعودية في بعض ممثليها الذين أثر المال فيهم فانطلقوا أو احجموا وهكذا ..

ان المصادفة – هي حسنة دون شك – هي التي دفعت الي الكتب الصادرة حتى الآن من سلسلة كتاب الشهر . وكنت حريصا على قراءة الكتب واعادتها الى صاحبها الشاعر مدحة عكاش وفي النفس شيء غير قليل من الاسى مبعثه ان النادي الادبي بالرياض يصدر كتبا لا نعلم عنها شيئا الا عن طريق المصادفات على الرغم من اهميتها النوعية للمعنيين بالدراسات وقد قدر لي ان اكون واحدا منهم . وهذا يعني – كما هو واضح – ان حركة نشر الكتاب في المملكة – شأنها في ذلك شأن منشورات الاقطار العربية الاخرى – حبيسة القطر الذي تنشر فيه ، مما يدعو الى مزيد من الاسى .

ونحن لا نطالب بحل خيالي لهذه المشكلة العربية ، ولكننا نأمل ان تسعفنا المصادفات فنلتقي سلسلة كتاب الشهر دوما ، ورديفتها السلسلة السنوية التي وقعنا فيها على رواية حامد دمنهوري « ثمن التضحية » وهي تمثل بدايات الفن الروائي الجيد في السعودية .

وفيما يلي استعراض لموضوعات كل كتاب على حدة:

حركة التأليف والنشر
في المملكة العربية السعودية

ليس هناك شك في ان لغة الارقام ذات دلالات بالغة تفوق دلالات الكلمة مهما تكن منتقاة معبرة . واذا كانت الارقام خاصة بعمل احصائي ببلوغرافي يتتبع حركة التأليف والنشر في قطر عربي ما ، فان الدلالة ابلغ وادعى للتأمل . ذلك ان العمل البيليوغرافي يسمح لنا بتقويم الحصيلة الفكرية العامة ، ويضعنا امام نتائج العمل الثقافي الماضي ، ويوضح لنا الثغرات والطفرات والزوائد .

لهذه الاسباب قرأت كتاب « حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية » الصادر عن النادي الادبي بالرياض عام ١٩٧٩ لمؤلفه يحيى ساعاتي ، باهتمام كبير فهو فرصة نادرة للتعرف الى حركة الكتاب في السعودية ، وهي حركة تجهل مساربها واتجاهاتها كما نجهلها في قطرنا العربي السوري تماما لخلو مكتبتنا من كتاب مماثل .

كتاب الاستاذ ساعاتي في ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة موضوعية للكتاب العربي السعودي المطبوع داخل المملكة وخارجها . وقد تم تقسيم هذ الدراسة الى قسمين :

الاول : يضم ببليوغرافية للكتب مرتبة حسب الموضوعات ، بحيث لجأ المؤلف الى التسجيل الالفبائي لرؤوس الموضوعات . وقد ضم هذا القسم اثنين وثمانين ومائتي موضوع ، شملت فنون المعرفة التي صدرت فيها الكتب .

الثاني : يضم دراسة تحليلية للثبت الببليوغرافي المنشور في القسم الاول وهي في اثنتي عشرة صفحة . كما يضم هذا القسم ثمانية جداول تختصر الثبت المذكور في ارقام ، وتأخذ على عاتقها نسبة ما نشر الى

دار النشر ، سواء أكانت رسمية أم خاصة ، علمية ام ادبية متخصصة ام غير متخصصة . كما يضم هذا القسم كشافين ، الاول للمؤلفين والثاني لعناوانات الكتب . اما الاول فقد رتبت الاسماء فيه بحسب الاسم الثاني للمؤلف . واما الثاني فقد رتبت الكتب فيه بحسب الترتيب الالفبائي للحرف الاول من عنوان الكتاب .

الحقيقة ان الوصف العام المذكور سابقا لايعطي فكرة دقيقة عن عمل المؤلف ، ومن الخير تسجيل ملاحظاته التحليلية الواردة في دراسته ، قبل الانصراف الى ملاحظات المرء الخاصة .

يرى المؤلف ان الموضوعات ذات الطابع الانساني تتفوق كثيرا على الموضوعات الاخرى ، وبالذات ما يتعلق منها بالادب والدين والتاريخ والعلوم الاجتماعية . ويلاحظ ان وفرة النتاج الابداعي لم ترافقها جهود في الدراسات النقدية ، على الرغم من وجود ست جامعات ، وخمسة أندية أدبية ، وجمعية للثقافة والفنون ، ومجلس أعلى لرعاية الفنون والآداب كما يشير الى ضآلة كتب الفنون الجميلة ، والكتب الخاصة بالعلوم البحتة والتطبيقية ، وخلو الثبت الببليوغرافي من الكتب العلمية الابتكارية ، وتأخر الترجمة ، وضعف الاهتمام بالتراث وكتب الاطفال ..

لا يشك المرء في جهد المؤلف ، وفي حرصه على التوثيق في عمله تسجيلا وتحليلا ، لان مثل هذا العمل يحتاج الى مؤسسات عامة وأفراد متخصصين وقد قام به وحده ، مما يدعو الى شكره والثناء عليه الا أن تبادل الرأي ينفع في استكمال جوانب العمل وقد لاحظ المرء تعدادا كبيرا للموضوعات دون حاجة الى ذلك . وقد سبب ذلك تكرار الجزئيات التي تدخل تحت عنوان ــ أو موضوع ــ واحد ، وتسجيل موضوعات ليست لها علامة بالتقسيم المتعارف عليه في العمل الببليوغرافي . فالعنوان الخاص بعلم من الاعلام يندرج تحت موضوع ــ التراجم ــ اذا كان الكتاب ترجمة للعلم ، او تحت موضوع ــ الدراسات الادبية ــ اذا كان دراسة لادب هذا العلم ، ولكنه لايدخل في حال من الاحوال ــ تحت عنوان خاص باسمه . والى القارىء امثلة محددة عن هذه الملاحظة :
هناك موضوع خاص بـ ــ ابو حديد ، محمد فريد ــ وآخر هو « الخلاوي ، راشد » ، وثالث « خولة بنت الازور » ورابع « ابو دلف الخزرجي » ، وخامس « شحاتة ، حمزة » هذه الموضوعات الخمس مستقلة بنفسها ، والواجب يدعو لان تندرج تحت موضوع « التراجم » او « الدراسات الادبية » فكتاب محمد فريد ابو حديد ، كاتب الرواية ، يشير الى انه دراسة أدبية ، شأنه في ذلك شأن كتاب « راشد الخلاوي : حياته ــ شعره ــ حكمه .. » ..

ثم ان الموضوع الواحد مقسم الى عديد من الموضوعات كالموضوع الخاص بعلم المكتبات . فهناك الموضوع العام ، وهناك موضوع خاص بالأدلة ، وآخر خاص بالفهارس ، وثالث خاص بالمباني ، ورابع خاص بالمصطلحات ، في حين يكفي في العرف الببليوغرافي عنوان واحد هو علم المكتبات . وفي المقابل هناك موضوعات تحتاج الى التجزئة كالموضوع الخاص بالقصص والروايات ، لاختلاف الجنس الادبي ..
اعتقد أن تكرار الموضوعات هو الذي جعل الحصيلة العامة كبيرة ــ ٢٨٢ موضوعا ــ ، ولو نفى المؤلف هذه النقطة لتماسك الثبت الببليوغرافي كثيرا وأقصد بالتماسك سهولة بحث القارىء عن مراده فيه

موت على الماء

صدرت مجموعة « موت على الماء » لعبد العزيز مشري عن النادي الادبي بالرياض عام ١٩٧٠ . تضم المجموعة ثلاث عشرة قصة قصيرة تؤطرها دراسة لعلي الدميني تم افتتاح المجموعة بها ، كما ضمت المجموعة عديدا من اللوحات التشكيلية لصاحب المجموعة نفسه وهو ــ كما تشير مقدمة الاستاذ الدميني ــ شاعر وفنان وكاتب قصة قصيرة . وفي مقدور قارىء المجموعة التماس شاعرية المؤلف وموهبته الفنية من خلال مضامين القصص ، دون أن يبذل في ذلك جهدا كبيرا .

غير أن الأمر البالغ الاهمية هنا هو أسلوب صوغ القصص . فقد تداخل في هذا الصوغ الاحساس الشعري وترك بصماته على الشكل الفني للقصص ، وعلى اسلوب رؤيتها للعالم الخارجي .

اما الامر الاول فالواضح فيه امتزاج اللفظة الشعرية باللفظة النثرية . بل ان الاولى تتفوق على

الثانية تفوقا كبيرا . ذلك ان المؤلف يعتمد اسلوب الصور البلاغية ، ويرتكز اليها في التعبير حتى لتبدو خصيصة اسلوبية عنده . وقد أضاف اليها تقطيع جسد القصة الى مقاطع واستخدام الجمل القصيرة ، واستنفاد امكانات علامات الترقيم . ولا يحتاج المرء الى دليل على هذا الكلام لان المجموعة بكاملها نموذج له واليك فاتحة قصته « الدمعة والحظ الهارب » :

« كان قد امتطى جواد الصبح .. مخلفا وراءه غبار الليل ، في حين كان يسلخ عنه أردية النوم » .

يشير المقبوس الى تلاحق الصور : امتطى جواد الليل — مخلفا وراءه غبار الليل — يسلخ عنه أردية النوم ، هذه الاستعارات التي تتلاحق ليست شعرا بحد ذاتها ، ولكنها ركن الشعر وعموده . واذا كانت القصة تستخدم أدوات الشعر لتضمن لنفسها مزيدا من الشفافية ، فان عبد العزيز مشري لا يكتفي بالاستعانة بهذه الادوات ، بل يجعلها ركده في قصصه كلها ، ما عدا شذرات قليلة يركن فيها الى اللفظة النثرية وهذا الامر دفع بقصصه الى الاتجاه التعبيري ولكنها لم تستطع بلوغه ولا حتى الوصول الى ضفافه .. نحن هنا أمام فنان يكتب ليعبر عما في نفسه ، ولسنا أمام

قاص يكتب ليكشف حالة نفسية او حياتية محددة .. ذلك ان الاتجاه التعبيري يميل الى ترميز الحالة عن طريق خلعها من سياقها الحقيقي والباسها أردية جديدة .. والواضح ان قصة « الفارس قديما دخل المدينة » تقترب من هذا الاتجاه ، لانها تعطي « الصارم الخشبي » و « المدينة » و « الاوتاد » ايحاءات مماثلة . تترك للخيال ان يمتد الى الاصالة والى المفارقة بين الحياة المعاصرة وامجاد الاجداد والماضي بعامة .. كما توحي للقارىء بغربة ما هو أصيل في المدينة . على ان مثل هذه القصة في المجموعة قليل ، لان غالبية القصص تغرق في الصور الى أذنيها ، فتغدو بعيدة عن التكثيف والايحاء ، وهما رأسا القصة الحديثة عموما .

ان رؤية الفنان للواقع الاجتماعي لا تبدو في الاسلوب فقط ، بل هي ماثلة في مضامين القصص . وقد اعطاها الاستاذ الدميني حقها من الحديث ، ان لم نقل انه جهد في التركيز على سماتها الايجابية .

نحن هنا امام مفردات يكثر تكرارها من « الجفاف — العطش — الماء — الغربة — الوحدة — المدينة — القرية » ، بحيث يستطيع المرء تدوين مضامين القصص في نوع من الجداول المتقابلة :

الجفاف — العطش = الماء

الغربة — الوحدة = التواصل

القرية = المدينة

ان الجداول الممكن صنعها تضم ثنائيات واضحة ، علاقتها ضدية دائما ، فالماء مضاد للجفاف ، والقرية مضادة للمدينة ، والغربة مضادة للتواصل ، والجوع مضاد للشبع . وكأني بالقاص عبد العزيز مشري ينقل علاقات الفرد بالمجتمع المحيط به ، وهي علاقات ضدية تشير الى الانهيار الداخلي لهذا المجتمع . ولا بد من القول ان هذه الرؤية هي رؤية فردية بالغة الحدة والفرادة والذاتية . ولا اعتقد ان مستوى العلاقات في المجتمع العربي قد بلغ هذا الحد من الانهيار الداخلي ، كما هي الحال في المجتمع الغربي . الا ان المرء يلاحظ بوضوح تصدع علاقة الأنا الفنية للقاص بالواقع ، ولا يملك — في نقد النصوص — شيئا سوى القول ان كيمياء العلاقات الاجتماعية عند القاص مشري محكومة برؤية الفنان التشكيلي مشري وليس العكس ، فهذا الفنان باحث ابدا عن التواصل مع الناس في المدينة ، ومشيرا — دائما — الى الهوة القائمة بين احلام القرويين وامانيهم وممارسات اهل المدينة وحياتهم اليومية . صحيح ان هذه الرؤية سليمة في اطارها العام ولكنها ليست قاتمة سوداء في تفصيلاتها وان كانت كذلك في رؤى بعض الفنانين ، فان البحث الدؤوب عن امكانات التواصل مع العالم هو الذي يشغلهم ويغلف اعمالهم ، دون ان يكون همهم مقصورا على التعبير عن فقدان العلاقة بين الفرد ومجتمعه .. هل يكفي لبطل قصة « الدمعة والحظ الهارب » أن ينام حلا لمشكلة حياته أو يكفي لبطل قصة « رائحة الجوع والخبز غبار » ان يقول في خاتمة القصة : « ان حبي للصبح غلب نغمات قلبي المسفوحة على عتبات الانتظار » ؟ .

ان المشاعر الآنية لا تصنع قصة ، وان الاسلوب القصصي يخفق في عملية الايصال اذا لم يتضمن مقدرة

فنية على التكثيف والايحاء .. وقد كان في قصص عبد العزيز مشري شيء من هذا الامر . على أن فيه شيئاً آخر من الايحاء والتكثيف ، مما جعل قصص المجموعة تترجح بين الجودة والاخفاق ، بين الاسلوب التعبيري والاسلوب التصويري .

تبقى الاشارة الى خطئات املائية ونحوية ولغوية من نحو « مواويلا – يصحوا – ضفائرا – هواءا » .

يعتقد المرء انها خطيئات مطبعية في الغالب الاعم ، وبخاصة ما يتعقل منها بكتابة الالف الفارقة مع الفعل المضارع المعتل الآخر « يصحو ، مثلا » ، او تسجيل ألف تنوين النصب بعد الهمزة المتطرفة المسبوقة بألف ساكنة .

امرأة تعبر تفكيري

صدر هذا الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، سلسلة كتاب الشهر (الرقم ٧) وهو مجموعة قصصية للاستاذ سليمان الحماد ، تضم خمس قصص ومقدمة.

يتناول سليمان الحماد في المقدمة هوية الكاتب ودور البيئة والايحاء ، ويخصص جزءا من حديثه للقصة السعودية . يقول في ذلك : « ان مستوانا في مجال القصة لم يزل دون ما كان يجب ان يكون عليه ، لاننا نحتاج الى اكثر من احمد السباعي وحامد دمنهوري وابراهيم الناصر مع فارق الابداعية الفكرية . القصة السعودية لا تتعدى يد القارىء ، فهي لم تعرف طريقا الى التمثيل ، وهي لا تعرف المسرح ، ونجهل ان لدينا محطات للبث التلفزيوني ، الا ما ندر والنادر لا حكم له . ونحن – فوق ماتقدم – لم نتعامل بهامع دور النشر ، ولهذا فهي محدودة التعريف والاطلاع ، ورغم ذلك كله فان علينا أن ندرك ان العمل المتقن – العمل الابداعي الرائع – يفرض جودته وروعته على سواه ، ولو انجز في خيمة نائية ونشر في مجتمع بدائي الفكر والثقافة » .

يذكر المؤلف في المقدمة ايضا سبب نشره قصصه القديمة دون غيرها ، وهو الحاح اصدقائه عليه وينص في أثناء ذلك على انه لم يعد صياغة القصص بل نشرها كما كتبها أول مرة .

تضم المجموعة خمس قصص طويلة نوعاما . فالقصة الاولى : امرأة تعبر تفكري التي عنونت المجموعة بها ، تعالج مشكلة اجتماعية هي زواج البنت الصغيرة من رجل يكبرها كثيرا في السن . وعلى الرغم من ان المؤلف يجعل القارىء يدخل القصة دون ان يرهقه بالاسلوب الانشائي أو بالمقدمات التمهيدية ، فان الخيوط القصصية تنداح متباعدة عن البداية الطيبة للقصة . فالمرأة في بداية القصة ترسل الى احد محرري الصحف رسالة تقرعه فيها لانه لا يهتم بالمشكلات الحقيقية للمجتمع ، وتروح تسخر منه وتؤنبه وتتهم ثقافته وخبرته ، وتخلص من ذلك الى رواية قصتها الاجتماعية القائلة ان اباها قد اجبرها على الزواج من صديقه بعد أن توفيت زوجته ، ولكنها لم تستطع التلاؤم مع حياتها الجديدة ، على الرغم من انها انجبت اربعة اطفال . كانت المشادات دائمة والشجار حارا ، حتى انها تركت منزلها الى منزل ابيها ، ونسيت في غمرة انفعالها تناول دواء القلب مما أصابها بأزمة قلبية نقلت بعدها الى المستشفى ، وحين علم زوجها بالامر سقط ميتا . لقد انداحت القصة ، وراحت الدوائر الكثيرة تجتمع في قصة المرأة دون أن تصل في النهاية الى ربط الخاتمة بالدوائر المنداحة . اين المحرر ؟ وأين الرسالة ؟ واين مسوغ الاتصال بالمحرر ؟. ان القصة سلسلة تقول كل شيء لقارئها ، دون ان تترك لخياله فرصة الامتداد . انها قصة تفتقر الى الايحاء والتكثيف سمتي القصة القصيرة . ولكنها – في المقابل – مقروءة ، وبخاصة في بداياتها الاولى .

أما القصة الثانية ، عانس في ليلة زفاف ، فكثير عليها تسميتها بقصة ، لانها لا تملك مقومات هذا الفن . فلا هي موحية ولا مكثفة ، ولا تنقل عمق الواقع الراهن ولا الموضوعي ، ولاتجعلك تنفعل بها أو تتابعها بألفة . انها محاولة للولوج الى دخيلة فتاة فاتها قطار الزواج ، تحتفل اسرتها بزواج الابنة الوسطى ، في حين تنتظر الكبيرة لان اباها التاجر رفض تزويجها من رجل من غير طبقته .. على ان اليأس والوهم بالتلاشي والضجر والابتعاد عن المدعوين ينتهي سريعا وكأن شيئا لم يكن ، فقد خرجت هند من غرفتها سيدة تشارك الناس أفراحهم .

أما القصة الثالثة ، رسالة الى امرأة فاضلة ، فليست احسن من سابقتها ، بل هي اكثر ايغالا في الاسلوب الانشائي السردي . انها رسالة من رجل الى امرأة كان يحبها ولكنه اقترن بغيرها لان امه المريضة تحتاج الى رعاية ، ولان ابا حبيبته يرفض تزويجها من رجل عادي . بعد عشر سنوات على الزواج : زواج الرجل ، وزواج الحبيبة ، يرسل العاشق رسالته الى معشوقته يشرح لها فيها سبب زواجه ، واسلوب حياته مع زوجته ، وندمه لانه لا يحب زوجته وهي الباحثة ابدا عن الاشياء التي ترضيه وتسعده . ثم مطالبته حبيبته الفاضلة بالاقتراب من زوجها ومحاولة فهمه . ليس لهذا النص ما يجعله داخلا في حيز القصة سواء أنظرنا الى الحدث ام الشخصيات أم الاسلوب .

أما القصة الرابعة ، دائما اغلق الباب خلفك ، فتسرد حدثا خاصا لا يخلص منه المؤلف الى شيء ذي بال . فبطل القصة مغترب ينوي العودة الى وطنه ، ويروح يعلل النفس بلقيا طفليه ، وبالهدايا يجلبها معه اليهما ، ويعد نقوده استعدادا لذلك ولكن حادثة سرقة في الفندق يصحبها اطلاق رصاص تجعله يستيقظ من نومه ويغادر غرفته سريعا ومحفظة النقود بجانب السرير مع تذكرة العودة ، وحين يعلم نبأ السطو يعود الى غرفته فاذا محفظة النقود قد سرقت ووضعت مكانها ورقة كتب عليها « دائما اغلق الباب خلفك » ، تحاول القصة تصوير المفارقة بين الاحلام الذاتية والواقع الاجتماعي في قسوته وتهديده الاحلام بالاخفاق والخذلان . ومن هذه الزاوية تلتمع القصة ولكنها تبقى مظلمة اذا نظرنا من الزوايا الاخرى . لان السرد التقريري الوصفي هو الذي حمل عبء التعبير عن الحنين الداخلي للبطل ، ولم تستطع القصة ايصال هذا الحنين الى القارىء عن طريق تصوير اللهفة والحرقة . بمعنى انها كانت تتحدث عن الحنين ولم تكن تصوره .

أما القصة الاخيرة « اللقاء الاخير » فهي اجود قصص المجموعة واكثرها فنية . انها قصة الفنان المغترب في علاقاته العاطفية المخفقة : وفي ابتعاده عن وطنه ، وفي بعده عن تجربته الخاصة في عمله الفني . في هذه القصة تختلط العواطف وتتصارع بين اقبال الحبيب وعزوف الحبيبة ، بين الاغتراب والوطن المجسد في سلمى واخيها محمود ، بين الفن المهاجر والفن العائد الى وطنه .. جمال هذه القصة في ذلك كله ، في اصطراع العواطف والآراء وتضاربها واختلاطها ، وفي المعادل الفني لها ، اعني لوحة اللقاء الاخير التي رسمها البطل مستندا فيها الى تجربته الخاصة واحاسيسه الصادقة ، فأجاد وابدع .

ان مجموعة « امرأة تعبر تفكيري » تلتفت الى الواقع الاجتماعي في القالب الاعم ، وتترجم ذلك بلغة الحديث عن المرأة في علاقتها بالرجل . والواضح ان هذه العلاقة مأزومة في القصص كلها تقريبا ، وكأنها بذلك تعبر عن علاقة الفرد بمجتمعه ، تلك العلاقة المأزومة التي لا تستقر على حال ، فتدعو الى الهجرة خارج الوطن ، والى التمادي في الخطأ او الولوج فيه . وفي اعتقادي ان القاص سليمان الحماد قادر على أن يكتب قصة جميلة مائعة اذا حاول تنويع ادواته الفنية ، وتنازل عن شيء كثير من السرد الوصفي والتقريري ، ولجأ الى الى الحوار وتابع تداخل الزمن ، ونقل الحدث من الخارج الى الداخل ، ومن الخاص الى العام .

ابن طباطبا الناقد

على الرغم من استفاضة شهرة الناقد ابن طباطبا فان احدا لم يدرس كتابه « عيار الشعر » دراسة نقدية تسبر غوره . وكان الكتاب قد صدر عام ١٩٥٦ عن المكتبة التجارية في القاهرة في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط ، بتحقيق الدكتورين طه الحاجري ومحمد زغلول سلام . وقد قدم المحققان للكتاب بحديث عن حياة ابن طباطبا وادبه وعصره .

بعد ثلاث وعشرين سنة على صدور كتاب « عيار الشعر » ، شهدت المكتبة العربية اول دراسة لهذا الكتاب ، ألفها الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع . وقد صدر كتابه عن النادي الادبي بالرياض عام ١٩٧٩ ، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ٤) . على أن الكتاب موجز عن رسالة أكاديمية نال بها المؤلف درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وحاول في كتابه « ابن طباطبا الناقد » تقديم موجز عن هذه الرسالة في ١١٢ من القطع الصغير .

التفت الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع الى تصحيح نسب ابن طباطبا اولا ، فرأى انه أبو الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا ابن اسماعيل ابن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

أما طباطبا (بفتح الطاءين) فلقب لجده ابراهيم .

ثم التفت المؤلف الى تحديد زمن ولادة الناقد فرجح انه ولد في أواخر النصف الاول من القرن الثالث الهجري أو أوائل النصف الثاني منه . اما وفاته فهي عام ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م . لابن طباطبا عدد من المؤلفات لم يبق منها سوى كتابه « عيار الشعر » وكان الدكتوران الحاجري وسلام قد حققا هذا الكتاب عن نسخة مصورة عن الاصل المحفوظ بمكتبة الاسكوريال .

يهتم الدكتور الربيع في أثناء الحديث عن نسب ابن طباطبا ومؤلفاته بتصحيح اوهام السابقين عليه ، من نحو :

- اسماعيل البغدادي في هدية العارفين

- الدكتوران الحاجري وسلام في مقدمة عيار الشعر

ثم يبدأ المؤلف بالتعريف بكتاب عيار الشعر فيذكر أن ابن طباطبا قد ألفه جوابا عن سؤال وجهه اليه ابو القاسم سعد بن عبد الرحمن ، وقد كان السؤال خاصا بعلم الشعر وكيف يتوصل الانسان الى نظمه .. اما خطة الكتاب فرأى المؤلف انها قائمة على :

- الاختصار

- الاستطراد وعدم التبويب المنطقي

- الاكثار من الشواهد والامثلة لما جعل الجانب التطبيقي بارزا

وقد أراد ابن طباطبا بعيار الشعر الميزان الذي يقاس به الشعر ويوزن ويحكم عليه ، وهو يرى ان معايير الحكم على الشعر اربعة :

١ - الفهم الثاقب (الاعتدال والصواب - اعتدال الوزن - صوب المعنى - حسن الالفاظ) .

٢ - مطابقة الشعر للحالة التي يقال فيها

٣ - اقتراب القصيدة من الرسالة . يقول في ذلك : (من الاشعار اشعار محكمة متقنة انيقة الالفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف ، اذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة الفاظها) ..

٤ - وضع كل كلمة من القصيدة في موضعها المناسب . يقول في ذلك (واحسن الشعر ما توضع فيه كل كلمة موضعها حتى تطابق المعنى الذي اريدت له ، ويكون شاهدها معها لا تحتاج الى تفسير من غير ذاتها) ..

على أن الهام جدا في كتاب عيار الشعر هو الحديث عن الوحدة الفنية للقصيدة . فهذا الامر عند ابن طباطبا ينم عن « فهم دقيق للوحدة الفنية في الشعر قل ان نجد له مثيلا في كتب النقد العربي السابقة واللاحقة له » . فالوحدة الفنية - كما يقول الدكتور الربيع - موضوع نقدي هام وقديم في النقد الادبي . وقد بدأ افلاطون الحديث عنه ، ثم تابع تلميذه ارسطو في كتابه « فن الشعر » الحديث نفسه ، حيث دعا الى ان يكون العمل الادبي وحدة عضوية مترابطة لا مجموعة اعمال من غير ترابط عضوي بينها . (يجب ان يكون العقل واحدا تاما ، وان تؤلف الاجزاء بحيث اذا نقل او بتر جزء انفرط عقد الكل وتزعزع) . وقد اجمل الدكتور الربيع نقاط الوحدة الفنية عند ابن طباطبا في ست نقاط هي :

١ - الملاءمة بين الالفاظ والمعاني وحسن التركيب واعتدال الاجزاء وتهذيب القصيدة وتنقيتها من الشوائب .

٢ - العناية بمطالع القصائد وافتتاحياتها لتكون أقرب الى ذهن السامع . كما حث على الاهتمام بحسن التخلص والانتقال من غرض الى غرض بلباقة وحذق حتى لا تتقطع أجزاء القصيدة .

٣ - الاهتمام بتنسيق الابيات وحسن تجاورها ومجانبة الحشو الذي لا فائدة منه .

٤ ـ ميزان وحدة القصيدة وترابطها هو عدم امكانية التقديم والتأخير فيها .

٥ ـ القصيدة المتكاملة اشبه بالرسالة والخطبة المترابطة الاجزاء .

٦ ـ ينبغي ان تكون القصيدة كالكلمة الواحدة في اشتباه اولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان وصواب تأليف .

لقد لاحظ الدكتور الربيع ان مفهوم الوحدة الفنية عند ابن طباطبا مقصور على تناسق القصيدة وترابطها، واجادة انتقال الشاعر من غرض الى آخر . (فالقصيدة عنده متعددة الاغراض والربط بين الاجزاء عمل عقلي صناعي يعمد اليه الشاعر كخطوة من خطوات العمل الشعري ، بينما يرى ارسطو ان الوحدة تقتضي ان يكون الفعل واحدا تاما فلا تعدد في موضوعات القصيدة) كما يرى الدكتور ربيع انه لا يوجد تناقض بين ما دعا اليه ابن طباطبا من وحدة القصيدة وبين ما يقتضيه عمود الشعر من تعدد الاغراض .

تابع الدكتور الربيع حديثه بعد ذلك عن مطالع القصائد في راي ابن طباطبا ، ومراحل العمل الادبي ، وثقافة الشاعر ، وقضية اللفظ والمعنى ، واقسام الشعر ، وشعر القدماء والمحدثين ، والسرقات الادبية والتشبيه ، ومنهج الناقد في نقده ، ومقارنة بين كتاب عيار الشعر وبعض الكتب المعاصرة له . واهم ما يلفت نظر المرء في هذه الامور حديث ابن طباطبا عن مشكلة السرقات وعن التشبيه ، وبالذات الامر الثاني الذي عدَ فيه ابن طباطبا مجليا . والحقيقة ان جهد الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع يستحق الثناء ، فقد عرف بابن طباطبا تعريفا شاملا لمَّ فيه شتات الآراء التي طرحها الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه تاريخ النقد الادبي ، والدكتور احسان عباس في كتاب المعنون بالعنوان السابق نفسه ، اضافة الى الآراء المتفرقة الواردة في مقدمة كتاب عيار الشعر ، وهي مقدمة كتبها محققا الكتاب الدكتوران الحاجري وسلام .وآراء الدكترر محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الادبي الحديث.

الشعر في ظـــلال

حركة الامام محمد بن عبد الوهاب

صدر الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ٦) ، وهو من تأليف الدكتور عبد الله الحامد . يضم الكتاب جزءا من رسالة تتناول الشعر في الجزيرة العربية ونجد والحجاز والاحساء والقطيف ، منذ قيام حركة الامام محمد بن عبد الوهاب حتى منتصف القرن الرابع عشر . يقول المؤلف في مقدمة الكتاب : « وهو محاولة لتأريخ هذا الشعر والوقوف على ابرز سماته وظواهره في تلك الفترة التي جار عليها بعض الباحثين فاعتبروها امتدادا لعصور الانحطاط ضحالة وركاكة وضعفا . وأرسلوا بعض الاحكام المعممة التي نتجت عن تطبيق المذاهب النقدية الحديثة كاملة ، دون مراعاة لظروفه واجوائه ، وهي المقاييس التي لو طبقت على ادبنا العربي في أزهى عصوره لحولته الى رماد لا خير فيه ، وقد حاول البحث ان يكشف جوانب مضيئة في هذا الشعر ، فيها قوة وجدة ، وسمات اخرى تميز هذا الشعر لا توجد الا في الادب الحي الذي يواكب الحركات الاصلاحية الدينية والسياسية » .

يضم الكتاب أربعة فصول ، ينصرف الفصل الاول الى الموضوعات ، بحيث يتحدث المؤلف عن افكار الدعوة وشعر الدفاع عنها ، وشعر الهجاء والمدايح ، ووصف المعارك والفتوح ، والشعر السياسي ، وشعر البكاء والرثاء . يرى المؤلف في هذا الفصل ان الشعر الذي يشرح الدعوة وأهدافها أضعف الاغراض وأقلها ، لانه تأخر عن مواكبة الدعوة باللسان والرسائل والكتب . اما الشعر الخاص بالدفاع عن الحركة فقد واكب الدعوة في مراحلها كلها ، وعني بالجانب الفكري منها على وجه الخصوص ، لان غالبية المهاجمين كانوا ينصرفون الى فكرة الدعوة اكثر من انصرافهم الى حركتها . وقد تطور هذا الشعر من شرح افكار الدعوة باسلوب هادىء على الاسلوب القوي الحاد ، ثم ظهرت النقائض التي يصعب على الدارس فحصها لفقدانها . وينص المؤلف على ان المعارك لم تعنف في شيء من القضايا كما عنفت واشتدت في قضية بناء الاضرحة على القبور ، والطواف عليها ، ومسألة زيارة النبي عليه السلام والنذور للقبور ، والذبائح التي تراق على

عتباتها للصالحين والاولياء . اما شعر الهجاء فقد دخل النقائض ، فتحولت القصيدة الى هجاء ديني وسياسي ومذهبي ، يقل فيه الاعتماد على المنطق الديني ويكثر الاعتماد على العاطفة . وقصائد هذا اللون من أجود شعر النقائض واقربها الى روح الشعر ، كما انها طويلة عددا وبحورا . وقد شاعت فيها ألفاظ القذف الديني من الكفر والالحاد والفسق والزندقة والضلالة والردة ، فضلا عن ألفاظ القذف الشخصي .

ينصرف الفصل الثاني من الكتاب الى الحديث عن الشعراء احمد بن مشرف — وسليمان بن سحمان — ومحمد بن عثيمين — وحسين بن غنام — وعبداللطيف آل الشيخ — وابن عوق — وابن معمر — والحفظيين — ومحمد بن بليهد . في حين ينصرف الفصل الثالث الى السمات والخصائص العامة ، وهي :

— الحرص على المطالع الموضوعية التي تتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر مباشرة .

— روح الحزن والاسى ، وبالذات شعر البكاء والرثاء والشكوى .

— يتسم الشعر بالجد دون الهزل ، ومن اجل هذه الجدية خلت اشعارهم من الغزل والمجون واللهو .

— بروز الروح الدينية .

أما الفصل الرابع فخاص بالشعر في نجد . وقد تحدث المؤلف عن شعراء الدعوة في نجد وهو : عثمان ابن سند — عثمان بن منصور — حسين النفيسة — أحمد البسام .

هذا هو الاطار العام لكتاب « الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب » . وهو اطار لا يغني بأية حال عن قراءة الكتاب لان فيه تعريفا بهذا اللون من الشعر ، وتدقيقا في شعرائه واتجاهات كل منهم الادبية والفكرية .

صلاح الدين

في الشعر العربي المعاصر

صدر هذا الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، سلسلة كتاب الشهر (رقم ٩) ، وهو للدكتور صالح جواد الطعمة . يلتفت المؤلف الى ظاهرة شعرية اسمها « صلاح الدين الايوبي » ، أو الظاهرة الصلاحية كما يؤثر ايجازها . فقد التفت المؤلفون والشعراء العرب الى هذه الشخصية ، فألفوا فيها كتبا كثيرة جدا عني الدكتور طعمة بذكر عناوينها . كما التفت الشعراء الى الظاهرة نفسها فجعلوها رمزا يعبر عن معاناتهم في الواقع ، ورؤيتهم للمستقبل ، من هؤلاء : علي الجندي — عدنان مردم — محمد بهجة الاثري — شفيق جبري — انور العطار — نزار قباني — الياس قنصل — زكي قنصل . وقد آثرت ذكر اسماء الشعراء السوريين وحسب لادلل على كثرة الشعراء في الوطن العربي الذين استوحوا بطولات صلاح الدين وجعلوها رموزا في أشعارهم . وينص المؤلف على أن الشعراء الذين استخدموا الصيغة الصلاحية يمثلون اتجاهات سياسية أو عقائد دينية متباينة ، وينتمون الى مذاهب شعرية مختلفة . « وليس من الغرابة في شيء ان يكتسب صلاح الدين — دون سواه من النماذج المترددة في الشعر الحديث — بمكانة خاصة لا من حيث تكرار التلميح اليه كبطل يستحق التمجيد فحسب ، بل من حيث التأكيد عليه كرمز للخلاص من المحن التي يعانيها العرب اليوم ، حتى انه استحال الى ما يسمى بالصيغة او اللازمة الصلاحية ، يكررها الشاعر ويضيف اليها ألوانا وعناصر جديدة كلما أحس بأخطار التحدي الخارجي ، مكتفيا بالاشارة الخاطفة في بيت أو بضعة ابيات ، او مكرسا قصيدة كاملة لوصف اعمال صلاح الدين وسجاياه ، وللمقارنة بطريقة مباشرة او غير مباشرة بين الماضي والحاضر ، كما تلاحظ ذلك في « بحيرة طبرية » لشكيب أرسلان ، و « بطل حطين » لعلي الجندي ، و « يوم حطين » لعدنان مردم . وقد رأى المؤلف ان المتأمل في شعر هؤلاء الشعراء يلاحظ ورودها ضمن ثلاثة أطر :

١ — الاطار الاسلامي

٢ — الاطار العربي

٣ — الاطار الفلسطيني

أما الاطار الاسلامي فيقرن البطل بدفاعه عن الدين . وليس في هذا المنحى غرابة لسببين اساسيين ، أولهما الطبيعة الدينية لمعارك الصليبيين ، وثانيهما الروح الدينية التي دفعت الشعراء انفسهم الى استلهام صلاح الدين في اطار اسلامي خاصة في الفترة التي سبقت انهيار الدولة العثمانية ، او الروح الصليبية التي انعكست في الغزو الاوربي الجديد ، مما جعل المفكرين العرب ينظرون الى الاستعمار الغربي على انه امتداد للحروب الصليبية . في هذا الاطار نجد قصائد احمد شوقي : كبار الحوادث في وادي النيل – تحية غليوم الثاني لصلاح الدين في القبر – الاندلس الجديدة ضريح صلاح الدين – نكبة دمشق – كما نجد قصائد أخرى للامير شكيب ارسلان : بحيرة طبرية – ولمحمود محمد صادق : مخالب الغرب في عنق الشرق ، ولعلي الجندي : بطل حطين ..

أما الاطار العربي فالمقصود به ما قيل من شعر بعد انفصال العرب عن تركية . فقد شهد هذا الشعر تحولا في الاستشهاد بصلاح الدين ولكن هذا التحول لم يهمل اهمالا تاما علاقة البطل بالاسلام ولا سيما الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى . في هذا الاطار نلاحظ قصائد عديدة لمحمد رضا الشبيبي : دمشق وبغداد ، ولمعروف الرصافي : مظاهر التعصب في عصر المدنية ، وللقروي : التنك ، وللدكتور جورج صوايا ، واحمد محرم ، ومحمد علي الحوماني ، وبدر شاكر السياب والياس قنصل وغيرهم .

أما الاطار الفلسطيني فصلاح الدين يتحول فيه الى لازمة شعرية مهمة ، تمثل عنصرا بارزا في بناء الملحمة او الفكرة المتكررة التي تتسم بها بعض الاعمال والاتجاهات الادبية او الفنية . وقد اتخذت هذه « اللازمة » او الفكرة « الصلاحية » قوالب مختلفة أهمها مناجاته والتغني بفضائله خلقا وبطولة وحكما ، والوقوف التقليدي على قبره لاستنهاضه ، والدعوة الى التبرك بتربة المعركة الحاسمة حطين ، والبحث عن نظيره العربي المعاصر ، والايمان المتفائل بوجوده وخيبة التطلع اليه او الاحساس احيانا بعقم البحث عنه . ويرى المؤلف ايضا ان تزايد اهتمام الشاعر العربي بالفكرة أو الصيغة ضمن الاطار الفلسطيني واضح منذ الثلاثينات ، حين اشتدت مقاومة العرب للاطماع الصهيونية في فلسطين . وقد مثل ذلك الشعراء : الكاظمي في قصيدته « ذكرى حطين » ، وابراهيم طوقان في قصيدته « حطين » ، والجواهري في قصيدته « تحية الجيوش العربية ، فلسطين » ، وجورج صيدح في « جهاد فلسطين » وغيرهم . والواضح ان الشاعر في تلميحه الى صلاح الدين يستهدف – قبل كل شيء – تذكير قومه بصفحة بطولة مشرقة من ماضيهم ، والدعوة الى تجديدها في معركة اليوم . غير انه لا يقف عند هذا الحد ، بل يضفي على تلميحه طابعا تهديديا يقصد به الاعداء ، أي ان الفكرة الصلاحية تؤدي وظيفة ذات جانبين : استثارة الهمم ، وتهديد العدو بما آلت اليه حملات عدوانية سابقة . ويصوغ الشعراء هذا التهديد بلغة مؤمنة تغلب عليها مسحة الخطابة ، ولا تخلو من اسراف في التفاؤل ، او تهويل لما يهبه الواقع من عوامل الانتصار . غير ان هذه اللغة المتفائلة لا تسلم من مرارة الاحساس بخيبة التطلع لمن يقوم مقام صلاح الدين . وهذا اللون من الاحساس يتخذ صورا مختلفة اولها البحث عن خلف له في صيغة تساؤل ، قد يقصد به الحث واثارة الهمم ، او الاستنكار .

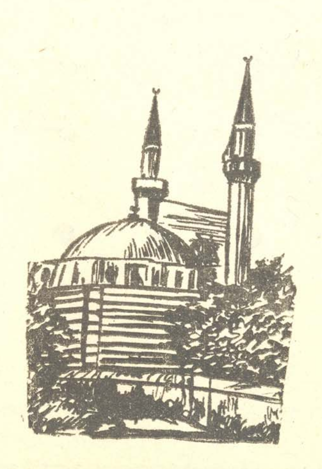
لقد ازدادت صور الاحساس بالخيبة قسوة في

ايحاءاتها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ففي شعر الشعراء نلمس سخرية لاذعة بالتظاهر او بالتمثيل البطولي باسم انقاذ فلسطين ، كما في قصيدة محمود درويش « انا آت الى ظل عينيك » ، او قصيدة « فصول منتزعة » لصلاح عبد الصبور . ومن صور الاحساس بالخيبة ثورة الشاعر على تحكم الماضي في سلوك قومه ، ورفضه للرؤية الخلفية كالتغني بامجاد الامس وفي مقدمتها صلاح الدين . على أن لهب الخيبة يستحيل احيانا وهجا يشيع الثقة والتفاؤل بالغد ، ويعين الشاعر على رؤية ما يحمله الغيب من خلاص ، فيردد مرة اخرى صورة الانتظار لصلاح الدين والتطلع الى حطين جديدة. ومن الوسائل التي يستخدمها الشاعر لتسويغ هذه الرؤية المتفائلة التذكير بما عانته فلسطين من قبل على أيدي الغزاة في عهد الصليبيين والكفاح الصابر الذي خاضه العرب فأدى الى نصرهم بقيادة صلاح الدين . ومن رسائله الاخرى التساؤل عن مصير الفاتحين بالامس القريب ، أمثال غورو واللبني .

من جوانب الفكرة الصلاحية تشبيه صور بطولية معاصرة بصلاح الدين . وقد ظهر في شعرنا المعاصر ثالوث كتب الشعراء فيه كثيرا من شعرهم هو : فلسطين - صلاح الدين - جمال عبد الناصر ، فقد كان الشعراء يقومون بقرن بطولة عبد الناصر ببطولة صلاح الدين فيما يخص فلسطين . ولقد بلغ التأكيد على هذه العلاقة بين صلاح الدين والرئيس عبد الناصر حدا دفع صاحب مجموعة المشاعل كامل أمين الى نحت تسمية تعبر عنها : جمال الدين الايوبي ، واستعمالها عنوانا لقصيدة تشيد بأوجه الشبه بينهما .

لقد أجاد الدكتور صالح جواد الطعمة اجادة كبيرة حين تتبع - مخلصا - رمز صلاح الدين الايوبي في الشعر العربي المعاصر ، فوضح تطور الرمز بتطور الاحداث العربية ، وأبان تأثيره في الشعراء العرب ، وفي اللاشعور الجمعي للمتلقين لهذا الشعر . وليس هناك شك في أن المؤلف كان يتعمد الحديث الوصفي ، ولم يكن من غرضه تحليل الرمز وبيان سبب استمراره وشيوعه ، واسباب قبوله الاجتماعية والسياسية، ولو فعل ذلك لاربى على الغاية .

● سمر روحي الفصل





قيثار الجمال

للشاعر: شفيق عبد الخالق

مهداة إلى صاحب ديوان ـ يا ليل ـ الشاعر الكبير الاستاذ مدحة عكاش

يا ليل احلام مجنحة الرؤى ... ومعابد للحب والرواد
فيه من الشوق المدله نفحة ... ومن الاباء الصلب أفضل زاد
ـ ياليل ـ قيثار الجمال ولحنه ... والكون أسماع وانت الشادي
لا يبدع النغم الجميل وصورة ... الانغام والنشوى سوى العواد
وجعلت ربة كل شعر شيق ... تغفو على نغم من الانشاد
عصفت قصائدك العذاب ترسخا ... بقوام كل مليحة ، مياد
فبأي ايحاء بنيت هياكلا ... وأضأت بهجتها بنور فؤاد !

• • •

وأبيت ان تشكو الزمان مرارة ... والحر لا يخشى صروف عوادي
بالرغم من « غضبات دهرك » لم تزل ... كالسيف منسلطا من الاغماد
وشمخت كالنسر الابي وفي المنى ... ما يهدم العالي من الاطواد
لك قلب جبار وصبوة عاشق ... عيناك لم تحفل بطول مهاد

• • •

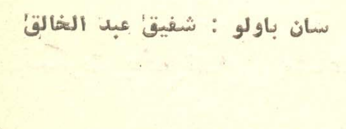


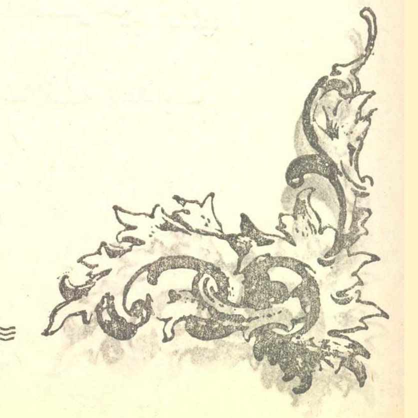
ماذا تركت من الشفاه وكلها ... « جمعت بواحدة » وغيرك صادي
وأجزت بعدك للشفاه فلم تذق ... الا « شفاه الكأس » بعد عناد
ورفعت محراب الجمال وصنته ... من كل مقنص الجمال وغادي
والليل ، أين الليل ! شعرك جمرة ... جعلت ظلام الليل نورا هادي
صليت في حرم الجمال وكنت في ... صلواتك المثلى من العباد
وبكل قافية سكبت حشاشة ... وصبابة وعصارة الاكباد
وكأن ما دبجته وكتبته ... فيه حرارة قلبك الوقاد
وشخذت من دنيا الجمال « زوارقا » ... « والصبوة الملاح » في الابعاد
عبر النجوم ومن يطوف بجوها ... هو والسنا الزاهي على ميعاد

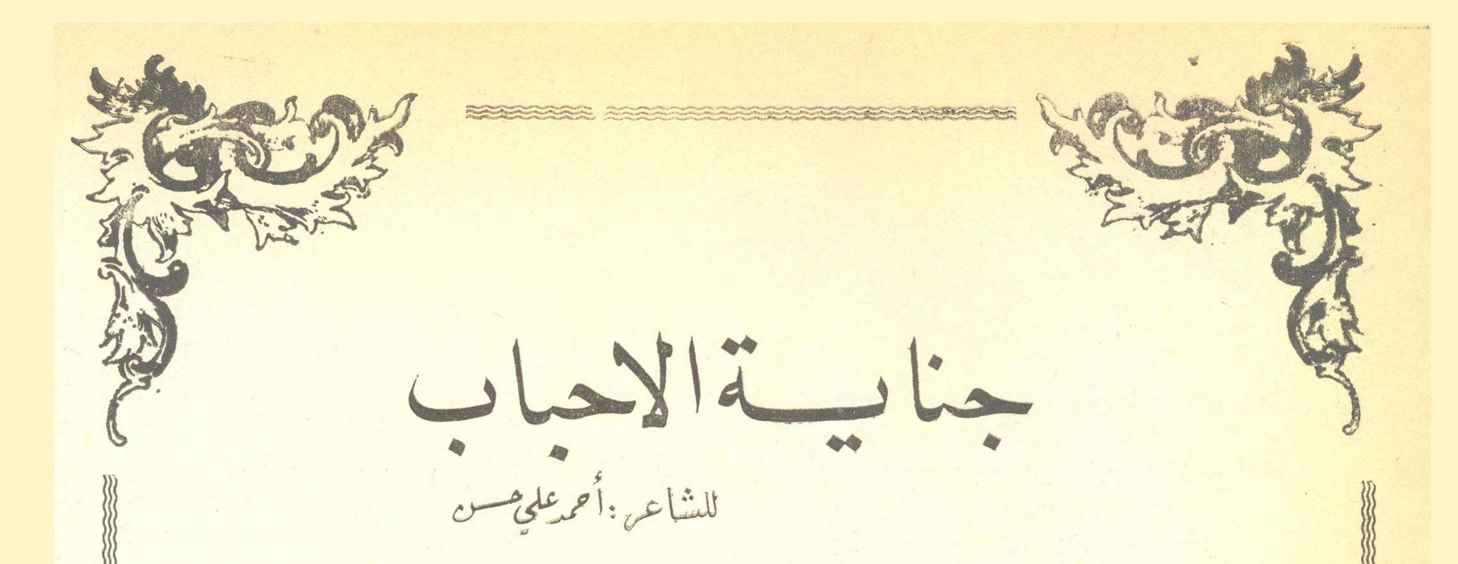
• • •

يا طامعا بدنى الجمال وحسنها ... أفما خشيت مكائد الحساد !
ينمو بشعرك كل حب عشته ... فكتبته بالروح لا بمداد
يا حامل الأدب الرفيع منائرا ... لك في رياض الشعر بيض أيادي
أطعمت قلبك للجمال وشعره ... وسقيت بالنجوى حروف الضاد

سان باولو : شفيق عبد الخالق







جناية الاحباب

للشاعر: أحمد علي حسن

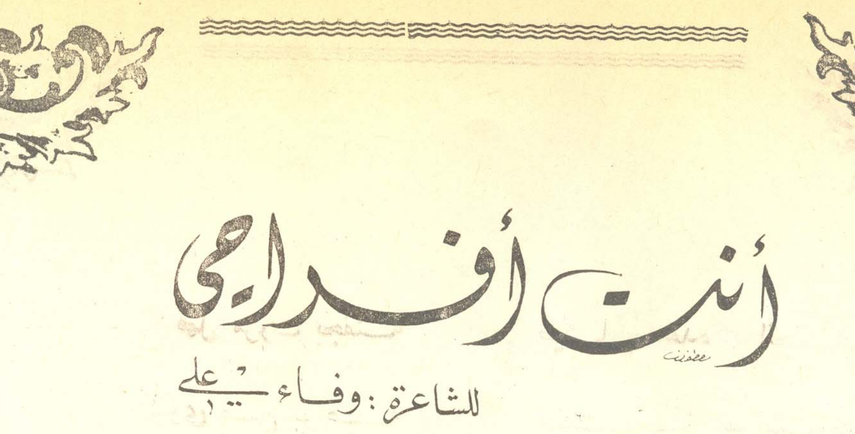
ما بي – اذا سألت عيونك ما بي   غير الهوى وجناية الاحباب
لولا مراودة الطيوف لمقلتي   اسدلت دون هواك ألف حجاب
علم الهوى وعلمت من اخباره   جزع الحجى وتشنج الاعصاب
ومررت بالاحلام وهي ترى على   وهج الجفون شفيفة الأثواب
لوتتها ، ونسجت من ألوانها   نغمي وكل روائعي وشبابي
ولقد تذوقت الهوى وصنوفه   وعرفت طعم عذوبتي وعذابي
ترد النجوم على هلال محاجري   مجنونة عصبية الايجاب
رقص الشعاع بها ، وجن وهش لي   فكأنما احبابه احبابي
آمنت بالحب الذي اسمو به   بين القلوب لعالم جذاب
حب سماوي السمات رأيته   خلف الظلال الخضر غير ترابي
سكرت بخمرته مشاعر خافقي   وغفت تعب سلافه اهدابي

حلم الربيع فهل مررت بجفنه ... طيفا يهدهده الجمال السابي
وكأن عاطرة الرؤى من بوحه ... حفلت بكل مواسم الاطياب
هتفت بمزهرها الطروب قصائدي ... واستلهمت نجم الحياة ربابي

• • •

يا انت يا وتر الصلاة بمعبدي ... وطراوة التسبيح في محرابي
لا تجزعي ، فعلى هميس خواطري ... سبحت رؤاك بما بح صخاب
اعطيت حسنك كل ما حلمت به ... دنيا الروائع في اولي الالباب
نصت على الحب الطهور وقدست ... معناه كل شريعة وكتاب
ولقد عتبت على ابن صدري وهو في ... طيش الهوى لم يستجب لعتابي
هل غاب عن وعي الشعور فصدني ... عنه غياب تجملي وغيابي
طهرت قلبي من وساوس هاجس ... نزق ونزوة آثم مرتاب
ولد جريت مع العفاف وما انطوت ... يوما على غير العفاف رغابي
آمنت في قدس الجمال وما حوى ... خلف الربى من ساحر خلاب

طرطوس ـ احمد علي حسن



أنت أفراحي

للشاعرة : وفاء علي

رد عني ، رد عني — حبك الطاغي .. أعني
رد عني النار ، رد النار عن — قلبي ... وجفني
لست أدري ! أنت أدرى — بالهوى .. بالعشق مني
لا تدعني للظى نهبا — ولا تمنعه عني ..!
آه من قيدي .. وجلادي ، — ومن آلام سجني
لست أدري كيف أحيا — كيف في سجني أغني

• • •

أنت يا أوفى ، ويا أغلى — ويا كل التمني
أنت لحن ، اين منه — كل لحن ، كل فن ؟؟
وأنا اللحن ! ولكن — لحن حزن ، أي حزن !

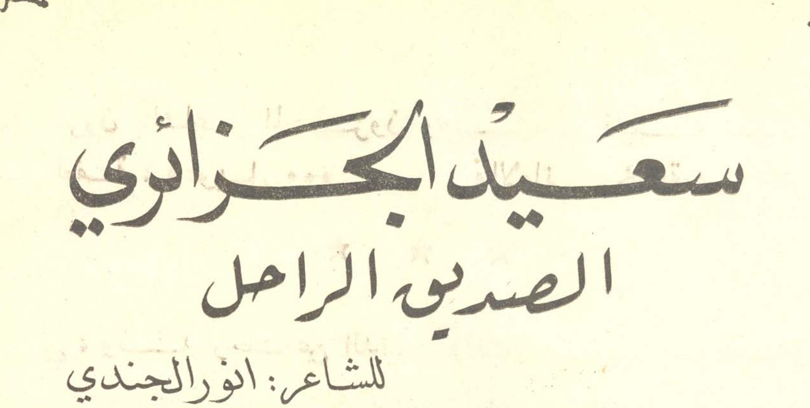
• • •

لم أكن أقتات صبحا — قبل عينك .. وعيني !
لم أكن أقتات الا — ظلمة الليل الأجن !!
أنت أفراحي ، وما اغنى من النعمى ، ويغني
ان لحني مثل قلبي — ان قلبي مثل لحني
ان أمت يوما وأفنى — بين ألحاني تجدني ..

وفاء علي







سعيد الجزائري
الصديق الراحل
للشاعر: انور الجندي

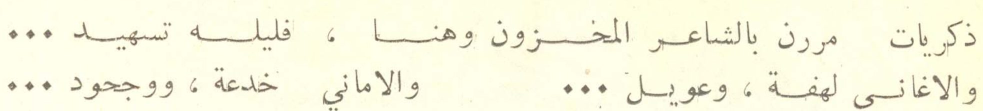
أومأ الليل ، فابكه يا عميد ... ماتت الذكريات ، مات سعيد ...
أيها المدلج البعيد ، بعيدا ... أقريب لقاؤنا ، أم بعيد ..؟
كيف خلفتني وحيدا ، شريدا ... أفيرضيك أن يموت الشريد ..؟
أتناسيت موعدا ، ولقاء ... وحديثا ، تغار منه الورود ..؟
والتقينا ، كأننا اغنيات ... مترفات ، وحرقة ، ووعود ...
وسهرنا هوى ، وضاقت بنا الدنيا جنونا ، والليل ، ليلك ، عيد ...
وأطل الصباح حلوا ، نديا ... والسكارى منى ، ودن ، وعود ...
وشربنا ، وتعتع السكر قلبينا ، فباحت بالسر عين ، وجيد ...
هكذا كان عمرنا ، فتلفت ... كيف ألوى بنا الزمان العنيد ...

★ ★ ★

أيها الراحل المضمخ بالاطياب ، قل لي ، ألم ترعك اللحود ..؟
والظلام الرهيب ، والعزلة الخرساء ، والقبر ، والفراغ المديد ..؟
كم تغنيت بالاحبة في الليل ، وكم أيقظت هواك الخدود ..؟
قم من القبر ، واسأل الفجر عنا ... عن ليال ، أحبها لو تعود ...
عن حبيب ، زفقته الراح حتى ... جاد بالدل ، والحبيب يجود ...



ذكريات مررن بالشاعر المخزون وهنا ، فليله تسهيد ...
والاغاني لهفة ، وعويل ... والاماني خدعة ، ووجود ...



★ ★ ★

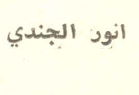
يا صديقي ، وقد رحلت عن الدنيا ، وأنت المجرب ، المعدود ...
أنت أدرى بما نحس من الآلام ، والحس وحده المفقود ...
عالم غاص في المهازل مجنونا ، ودهر ، مخاتل ، عربيد ...
وأناس لا يعرفون سوى الاموال ، تهمي بخيرها ، وتزيد ...
وأخ يحسب الحياة انتقاما... من أخيه ، فعمره تنكيد ...

★ ★ ★

يا صديقي ، والموت حلو ، شهي... حين يؤذيك جاهل ، وحسود ...
والحياة التي بكيت عليها ... حلم تافه ، ووهم بديد ...
وزمان يعيش فيه ذليل ... ويموت المؤمل ، المنشود ...
لزمان كالبيد ، قفر ، خواء ... عاش في ظله الظليل .. العبيد ...
فاسترح يا نجي روحي مجبورا ، ففي القبر ، يهدأ المكدود ...

★ ★ ★

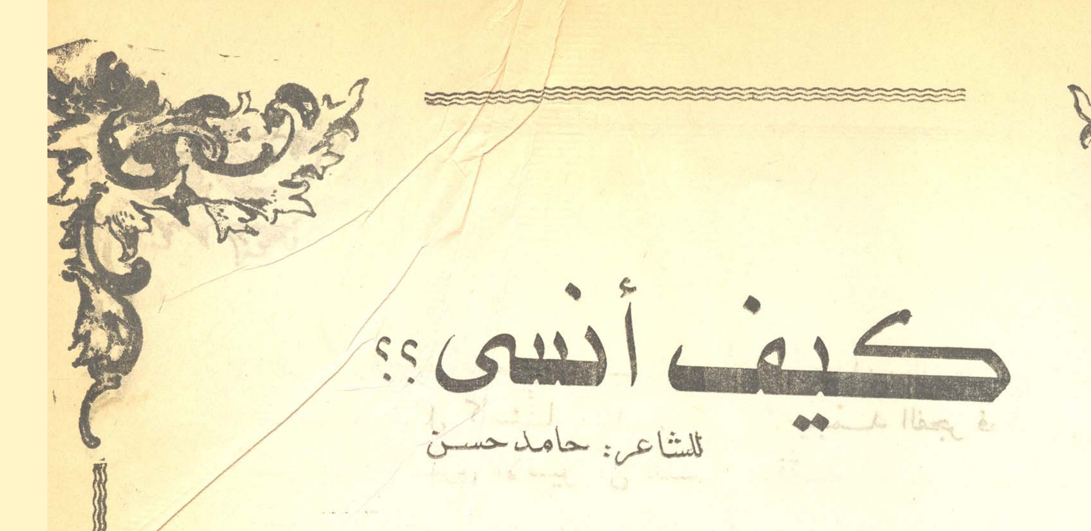
يا صديقي ، وفي فؤادي شوق ... للقاء تذوب فيه الحدود ...
أنا في هذه الحياة غريب ... فمتى ينعم الغريب ، الوحيد ..؟



سلمية في ١٥-٥-١٩٨١

انور الجندي





كيف أنسى ؟؟

للشاعر: حامد حسن

الى روح صديقي الشاعر اديب الطيار

واكبت نعشك الحبيب القلوب	والسنا في ركابه ، والطيوب
هزهـا لاعج الحنين ، ولا عيب اذا	حن للحبيب الحبيب
ما عبرنا الدروب نحوك الا	طالعتنا بما يذيب الدروب
أنت بين الضلوع وهج لهيب	ربما مزق الضلوع اللهيب !
يا وجيب القلوب في يوم منعاه ، وذكراه ، رحمة يا وجيب !!

★ ★ ★

هاجر العندليب عن أيكة الشعر ، وأبقى شهيقه العندليب
شاعر شاب سالفاه ، ولكن	قلبه مثل شعره لا يشيب
شاعر يعشق الجمال ولو كا	ن ضلالا ، فانه لا يتوب
انه الشعر في الجوارح والارواح	همس ، ونشوة ، ودبيب
يخصب الرمل والصحارى اذا طا	ف ، ونداهما الخيال الخصيب

★ ★ ★

عاد آذار يا « أديب » وآذا	ر ، رفيف ، وأغنيات ، وطيب
عربد العطر في السفوح النداي	وانتشى الشاطىء النعيم اللعوب
فعلى السفح راقص ومغن	وعلى التل عازف وخطيب

وعلى رفرف المقاصير غيد   يعذب الشعر عندها ، ويطيب
ثغرها مثل كأسنا عندمي   يجمد الفجر فوقه ، ويذوب !!
قم بنا نسرق الاصيل من الشمس ، فقد ذهب التلال الغروب
قم بنا ننهب الدنان ففي قلبي إلى نهبها حنين مذيب

★ ★ ★

كيف أنسى على « المطلة » لقيا   نا ، وقد لملم الشعاع المغيب
نحن ، والشعر ، والهوى ، والمنى ، والليل ، والعاطران : ثغر وكوب
زغردت عزة ، وماست لميس   وصبت كوثر ، وغنت عريب
لو همى عطرهن بالبيد جن الرمل ، من شوقه ، وحن الكثيب
قم بنا نستحم بالفجر والعطر ، ونحسو كؤوسنا ... ونغيب !!
كل نعمى وراء هذا فاني   مستهين بأمرها ، مستريب !!!

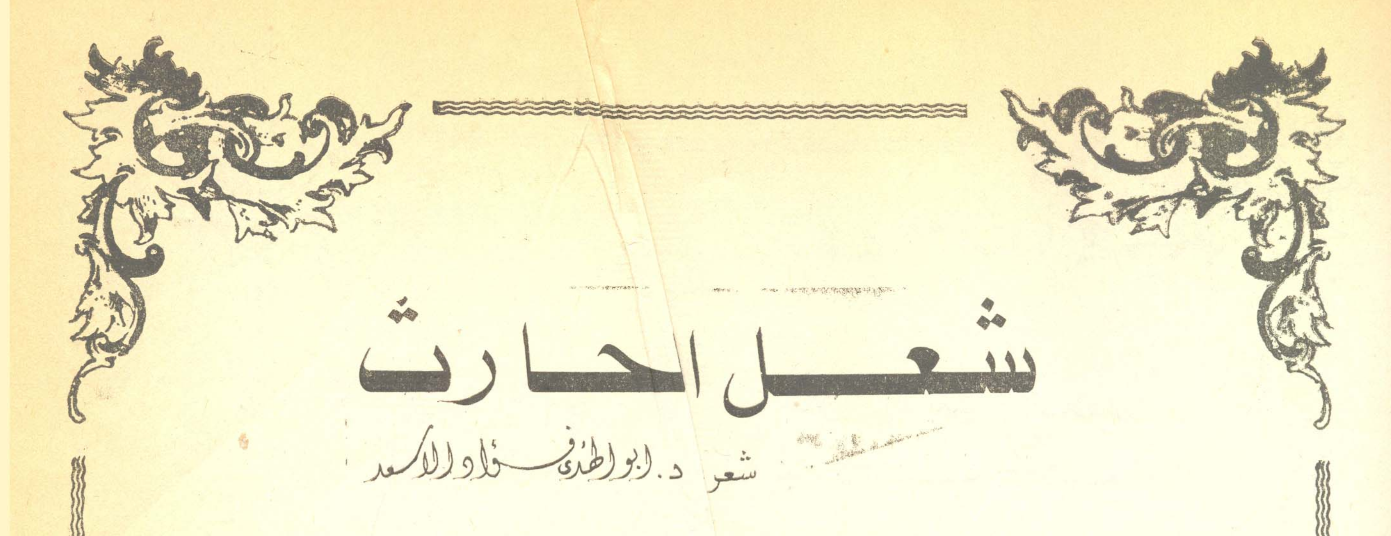
★ ★ ★

يهمل الشاعر النبي لان الشعر والفقر حظه ، والنصيب
لم يروا فيه ما يريب ، وهل في   وهجة النور في الضحى ما يريب
نحن أغنى مشاعرا ، غير أن الشعر في مذهب الغني عيوب
كل ما نبتغيه أن تشبع الروح ، وسيان أن تجوع الجيوب
والهوى ، والقلوب شتى ، فقلب   ممرع بالسنا ، وقلب جديب
عاد آذار يا أديب ، وآذار ،   رفيف ، ووشوشات ، وطيب
قم بنا نستحم بالفجر والعطر ، ونحسو كؤوسنا ... ونغيب

★ ★ ★

غيب القبر من أحب ، ولكن   ظل في القلب حاضرا لا يغيب
سوف يمحو الزمان من خاطر الذكرى   أحب المنى ، ويبقى « أديب »

الدريكشين : حامد حسن



شعل الحارث

شعر د. ابو الهدى فؤاد الاسعد

يا ومضة البرق انثري شعلا تضيء خواطري
الشك أثقل كاهلي ريح تشتت ناظري

★ ★ ★

يا ومضة البرق امطري درر السكينة والامان
هاكي جداول خلوتي خمر .. تعتق في الدنان

★ ★ ★

يا ومضة البرق انثري صخب العباب الواثق
الشعر يحرث .. حقله متفجرا .. بالعابق ..

★ ★ ★

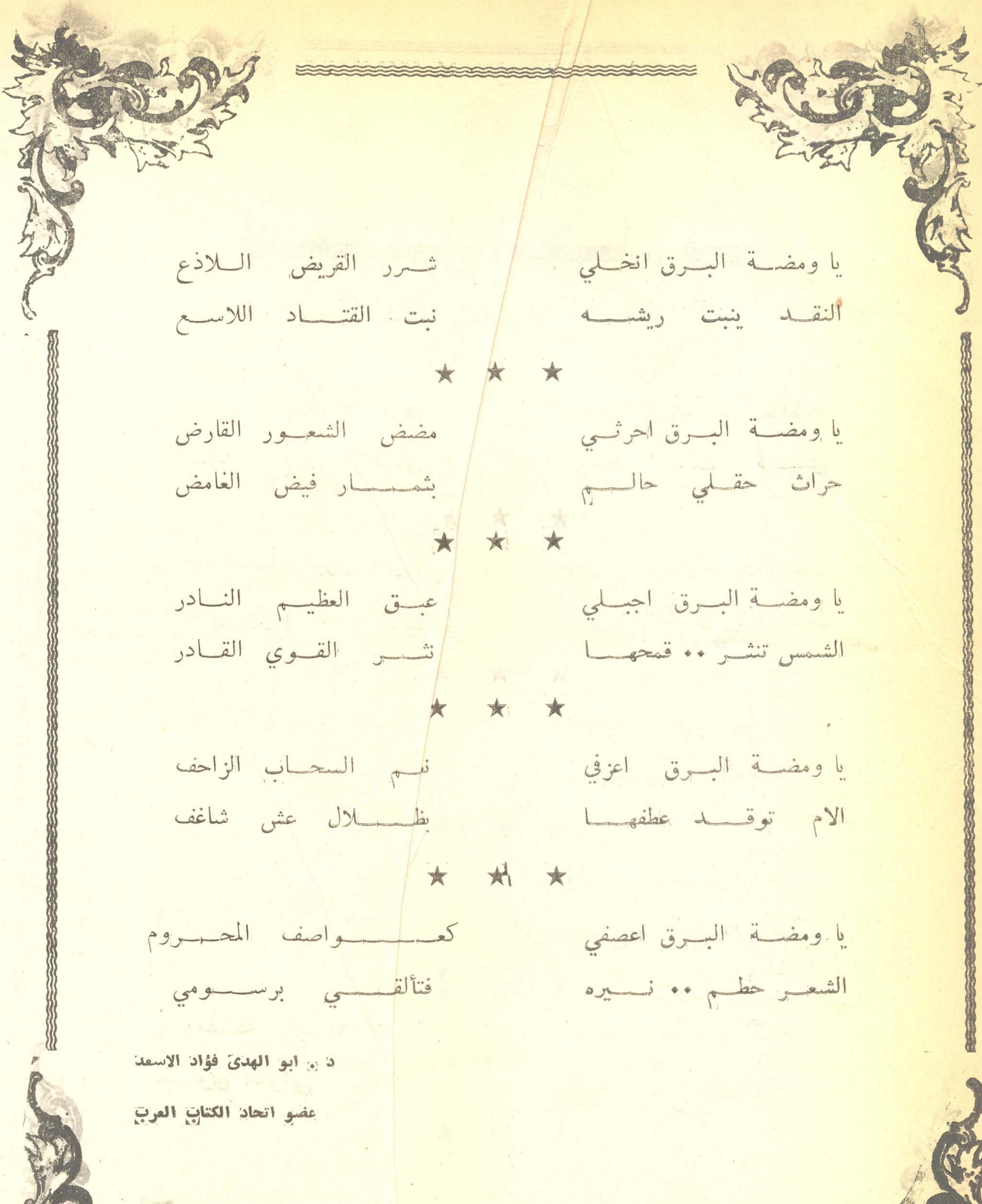
يا ومضة البرق اطلقي أمل الحزين اليائس
أسقيته .. مر الاسى جزع الحنين البائس

★ ★ ★

يا ومضة البرق اشرقي نورا يشعشع كاليقين
سلوى الحزانى .. دنك قلم .. تفجر بالثمين

★ ★ ★





يا ومضة البرق انخلي   شرر القريض اللاذع
النقد ينبت ريشه   نبت القتاد اللاسع

★ ★ ★

يا ومضة البرق احرثي   مضض الشعور القارض
حراث حقلي حالم   بثمار فيض الغامض

★ ★ ★

يا ومضة البرق اجبلي   عبق العظيم النادر
الشمس تنشر .. قمحها   نشر القوي القادر

★ ★ ★

يا ومضة البرق اعزفي   نغم السحاب الزاحف
الام توقد عطفها   بظلال عش شاغف

★ ★ ★

يا ومضة البرق اعصفي   كعواصف المحروم
الشعر حطم .. نيره   فتألقي برسومي

د . ابو الهدى فؤاد الاسعد
عضو اتحاد الكتاب العرب

الشريف الرضي

بقلم : فاتن صالح

ايها الشريف الرضي .. تتبعت اثرك وبحثت عن لآلئك المبعثرة . وغصت في اعماق معانيك الساحرة المعبرة .. فوجدت عجبا هل يجتمع ذلك كله في شاعر واحد ..
درست الحياة السياسية والاجتماعية وموقفك من الجميع فالهبتني حماسا وزدتني من شعور النضال قوة ..

فكنت أنيسي وكنت معك كأخلص صديقين أو حبيبين ارثي لمصيبتك ، واستجمع العبرات لفداحة خطوبك اعطيتني الكثير .. أعطيتني حسا وشعورا ووعيا متمردا فنظرت للدنيا بمنظارك وعشت الخطوب كما عشتها وتذوقت الشعر كما تشعر به فاليك الفضل بكل ذلك ... وأول الفضل وجله لمن نشر هذه الكلمات لمن فتح لي البوابة واضاء اول الطريق .. الى مجلة الثقافة

الخلافة العباسية وعصر الاسلام الذهبي ..

وبالنهاية الخلافة العباسية والشعوبية وتحكم الموالي في سياسة الدولة ..

بدأ كل ذلك ينمو ويتوسع بسرعة ، فكانت افكار غريبة ، وتصرفات مريبة ، اثمرت للعرب ألوانا من الخطوب والنكبات ، فمن هم العباسيون .؟

العباسيون ينتمون الى العباس عم النبي (ﷺ) أقاموا في العراق ، تبوأ الخلافة منهم سبعة وثلاثون خليفة في خمسة قرون وبعض القرن ، حتى ثل ذلك العرش هولاكو سنة ست وخمسين وستمائة ، وفي القرن الثالث الهجري تمتد الفتن والخطوب الى القرن الرابع الهجري ويظهر القرامطة ، ويأتي الروم ليضيقوا الخناق على العرب حتى اختنقوا بفعل خلافاتهم فبرز الاتراك والديلم ليرسموا كل شيء ، فضعفت حالة الدولة وكثرت الفتن وانتشرت المجاعات وارتفعت الاسعار .

يحيط بكل ذلك التعصب الديني الذي مزج كل شيء به . وكان معظم السلاطين والملوك والخلفاء في زاوية اخرى من حياتهم يقربون اليهم الشعراء والمحدثين والعلماء والكتبة فيشجعون الشعراء ويستوزرون العلماء ويجلبون الكتب والمكتبات ، فانتشرت المكتبات في انحاء بغداد وكان من بينها (دار العلم) الذي يقوم عليها شاب في مقتبل العمر ينتهي نسبه الى أبي طالب .

انه ابو الحسن الشريف الرضي بن الحسن بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان أبوه أبو احمد الحسين الموسوي نقيب الطالبيين وهو محبوب من الجميع اهتم بتربية ولده اعظم الاهتمام فجلب له أفاضل العلماء والفقهاء لتثقيفه وتهذيبه . بلغ الشريف العقد الاول من العمر فعركته الدنيا وقسا عليه القدر فجعل كل ذلك منه رجلا وهو لا يزال يافعا وخلقت منه شاعرا فأي حادث جلل غير مجرى حياته .

لقد كانت الضربة موجهة الى ابيه فتحمل هو نتائجها وشقي بسببها ذلك أن عضد الدولة اتهم النقيب أبا احمد الحسين بالخيانة فسجنه في احد القلاع فذاق الشاعر لاول مرة مرارة العيش وألم الاضطهاد ، فأينعت شاعريته الغضة وفكت الخطوب المداهمة لسان الشعر فنطق بالشعر الباكي وقال الادب الحزين ، وجعل يرسل القصيدة تلو القصيدة الى أبيه في سجنه ليعزيه ويخفف عنه قسوة السجن ولوعة البعاد ، وخرج الاب المسكين من سجنه كفيف البصر فتنحى عن النقابة لابنه الشريف لجدارته بهذا المنصب على صغر سنه اذ لم تزد على التاسعة والعشرين اصبح نقيبا للطالبيين ، واميرالحج والناظر في المظالم ، والمستخلف على الحرمين والحجاز ، فزاول هذه الاعمال مدة دون ان يكتفي بها ، بل جعلها وسيلة لبلوغ الخلافة وما يمنعه عنها وهو بهذا النسب الجليل والمكانة الرفيعة ، ها هو ذا يخاطب الخليفة القادر بالله قائلا :

عطفا أمير المؤمنين فاننا
في دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدا ، كلانا في المعالي معرق

الا الخلافة ميزتك فانني
انا عاطل منها وانت مطوق

نفس عالية واثقة ، تعبر عن حاجة دفينة .. هي

الوصول الى السلطة فالشاعر هنا يمدح نفسه قبل الخليفة .. انها نفس شاعرنا نقيب الطالبيين الشريف الرضي . وهو يقول ايضا في مدح الطائع :

أليس ابوكم أبـي والعرو
ق تخلط لحمي بكم والعظاما

نبتنـا معا فالتقينا عروقا
بأرض العلا واختلطنا رغاما

اذا عمم المجد هاماتكم
كفاني لوثا بـه واعتماما

واذا بحثنا اكثر في نسبه نلاحظ ان نسبه ينتهي الى الحسين بن علي . والحسين هو ابن بنت رسول الله (ﷺ) قتل غدرا في كربلاء في العراق وكان استشهاده ثورة على واقع فاسد فكان من قادتها كثير من شعراء الشيعة ومن اشهرهم الكميت في هاشمياته .. ودعبل ابن علي الخزاعي .

وشاعرنا الشريف الرضي قد تأثر بذلك كثيرا حتى حكم عليه الثعالبي صاحب (يتيمة الدهر) بأنه أشعر الطالبيين ممن مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المغلقين .

والشريف الرضي ان لم يكن اكبر الشعراء في فن الرثاء فهو من دون شك من أكابر شعرائه ومن السابقين لرفع دعائمه واساسه وهو في مديحه للسلاطين والامراء والخلفاء يظهر في شعره وكأنه يستنكر المديح فيهم والضنه به على ابيه وجديه فيقول من قصيدة في أبيه:

وغيرك لا أطريه الا تكلفـا
وغير حنيني عنه غيرك مصحب

ابعد النبي والوصي تروقني
مناسب من يعزى المجد وينسب

ولولا جزاء الشعر ممن يريده
وجدت كثيرا من يغني ويطرب

يفتخر بنسبه ، يفتخر بأبيه ، يفتخر بنفسه فهو نقيب الطالبيين يقول :

أنا ابن نبي الله وابن وصيته
فخار علا من نده وضريبه

ويقول في الثالثة :

المجد يعلم أن المجد من أزكي
ولو تماديت في غيي وفي لعبي

اني لمن معشر ان جمعوا لعلى
تفرقوا عن نبي أو وصي نبي

اذا التفتنا الى الاغراض الاخرى في شعره نلاحظ أن لها وجودا بالتأكيد ، ولكن عنصر المأساة واللوعة والحزن على وفاة جده واستشهاده وهو يدافع عن الحق العادل وافتخاره بنفسه كسليل لهذه الاسرة الجليلة ومكانته كنقيب للطالبيين يطالبون بحقهم على اوسع مدى غطى الاغراض الاخرى .

يقول مثلا في رثاء الحيرة اطلال باليه حيث منازل اللخميين من ملوك العرب .

أين بانوك ايها الحيرة البيـ
ـضاء والموطئون منك الديارا

لم يدع منك حادث الدهر الا
عبرا للعيون واستعبارا

والشريف الرضي في غرض آخر من اغراضه الشعرية يظهر كواحد من الاحرار الحريصين على تراث آباءهم واجدادهم يقول عن بغداد تلك المدينة التي وقعت أسيرة بيد الموالي :

متى أرى الزوراء مرتجة
تمطر بالبيض الظبا أو تراح

صبرت نفسي عند أهوالها
وقلت من هبوتها : لا بَراح

اما فتى نال العلا فاشتفى
أو بطل ذاق الردى فاستراح

ونصل الى الحجازيات تلك المجموعة من القصائد الوجدانية يقول :

يا ظبية البان ترعى في خمائله
ليهنك اليوم ان القلب مرعاك

وعد لعينيك ما وفيت به
يا قرب ما كذبت عيني عيناك

أنت النعيم لقلبي والعذاب له
فما أمرك في قلبي واحلاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى
من علم البين ان القلب يهواك

واذا كان لنا أن نقف وقفة اخيرة في هذا البحث الصغير عن الشريف الرضي فلا يفوتني ابدا ان أذكر قصيدة تأثرت بها كثيرا وتصورت ما يعانيه الشاعر حيال هذه المناسبة الفاجعة وهي موت والدته وصدق من قال عنها أن من يقرأ هذه المرثية في والدته يجد نفسه غرقى في سيل من الدموع وأتون من العواطف يقول :

قد كنت آمل ان أكون لك الفدى
مما ألم فكنت أنت فدائي

لو كان مثلك كل أم برة
غنى الزمان بها عن الآباء

رزءان يزدادان طول تجدد
أبد الزمان فناؤها وبقائي
يا قبر أمنحه الهوى وأود لو
نزفت عليه دموع كل سماء

للؤمت ان لم اسقها بمدامعي
ووكلت سقياها الى الانواء

لو كان يبلغك الصفيح رسائلي
أو كان يسمعك التراب ندائي

لسمعت طول تأوهي وتفجعي
وعلمت حسن رعايتي ووفائي

كان ارتكاضي في حشاك مسببا
ركض الغليل عليك في احشائي

هل يوجد بعد هذا الرثاء .. رثاء .؟

وهل يوجد بعد هذا الشعر شعرا .؟

أعيد الابيات وأكررها مرارا وفي كل مرة اشعر بحزن شاعرنا يتجدد .. أمام هذه الابيات اصابني الذهول فنسيت كل شعر قرأته او حفظته واترك القلم وأخضع لشاعرنا العظيم الشريف الرضي .

فاتن صالح : دمشق ـ كلية الآداب





الشبـــح

مجموعة شعرية لسعد الدين كليب ب ٩٨ صفحة من القطع الصغير - صدرت في شباط ١٩٨١ - المطبعة الحديثة في حماه - صمم الغلاف الفنان : نزار قطرميز - وتضم اربع عشرة قصيدة

نقد وتحليل / عبد الله عساف

● مجموعة « الشبح » للشاعر سعد الدين كليب تشكل تتويجا لاعمال الشعراء في حماه وتعتبر قفزة شعرية جديرة بالقراءة . انها - كما بدا لي - صرخة وتيار وعنف سواء من ناحية الشكل الفني او حتى الموضوعات المطروقة فيها .

فأنت تطالع عن الهموم التي يعاني منها الانسان ، تطالعها وانت تترقب بين لحظة واخرى ما سيعطيك من جديد ، وما سيناقشه باسلوب متميز يعتمد الاثارة في جل جوانبه .

وقصائد المجموعة من الناحية الفنية تنتسب - ان صح التعبير - الى المدرسة (الرمزية) وقد تتحد احيانا (بالرومانسية) ، فينجبل الانسان بالاشياء والاشياء بالانسان . ويبقى - ابدا - يرافقك ذلك الصوت عبر القصائد .

هذا كتابي فاقرؤوه / هذا انا فلتدفنوه

انك تجد صوت الانسان وتجد الارادة والتصميم لاستمرارية الوجود حيا كما الشمس التي تغتسل كل يوم باشعاعها لتظهر بثوب جديد

والسؤال الذي يطرح نفسه على القارىء قبل ان يفتح المجموعة هو : ما الداعي لهذه التسمية ؟ أهو تخيل ام هاجس ام عبث ام جنون ؟. ام ان هذا الشاب اختارها واستبعد بشعوره المرهف ما سيكون من خلال ما هو كائن . انك تجد الجواب في قوله من قصيدة (الشبح) :

حياتنا يا غصتي مصحة للسل والجنون
بها المريض والعليل والقعيد
« كأنهم اعجاز نخل خاوية » .

نعم هو اكبر من شبح واكثر من مصيبة . ان المبلغ الذي وصل اليه الانسان المعاصر اليوم يهدد بالخطر. ويحتاج الى النظر اكثر فيما يحدث له ، بل :

لعل دفقة الوريد
تشب مثل « حلمتي مراهقه » .

اذن : المجموعة تطرح موضوعا اخطر من خطير . انه الوجود واللاوجود للكائن البشري .

ولا بد للمطالع ان يتوقف عند بعض النقاط الهامة في المجموعة وهي ما زالت قيـد الدراسة والبحث . ويمكن ان اختار موضوعين بهدف اظهار قدرة المعالجة عند الشاعر وهما المرأة والمجتمع . وما تبقى من موضوعات فسيجدها القارىء في حينها .

المرأة :

ان المرأة في أيامنا اصبحت - كما هو معروف - تشارك الرجل في اغلب مجالاته . فصارت المدرسة والعاملة الى جانب انها الحبيبة .. والزوجة . الى هذا الحد والكل قانع ان المرأة نالت ما تريد . هذا فهمنا اذا تخطينا الصرخات الادبية شعرا أو نثرا والتي تصرخ عبر الفضاء قائلة باجماع «نريد للمرأة ان تتحرر» و « نريد للمرأة ان تخرج » .. واخيرا خرجت المرأة . ما النتيجة ؟. ان السلبية في عدم فهم مصطلح حريتها انعكس على الواقع . بل واصبحت وبالا عليها . هذا ما يكشفه الاستاذ سعد الدين كليب في مجموعته.

ان المرأة في المجموعة حزينة . انها تستغيث. وان المرأة التي يريد لها ان تكون هي المرأة التي تفهم التحرر وتعرف من هي اولا واخيرا ، والتي تخرج عن مسار التزوير والتي تنسلخ من المظهر الذي أودخروجها في مهده . يقول في (لاعبة السيرك) :

لا ترتبكي سيدتي

ما عدت أفكر فيما كنت افكر
ايام جعلتك رابعة العدوية
تختالين بروضة عشقي الصوفيه
ترتسمين على حبات الطلع ودمع النور

ان المرأة التي (يتخيلها) هي التي تضرب في العفة بحرا وفي الحب جداولا والعشق رياحينا . وليست تلك المرأة التي اتلفها الواقع واهلكها التزوير .

المجتمع :

ان الاستاذ سعد لا ينطلق الا من الواقع ، ولا يطلق احكامه الا من خلاله . فهو - كما بدا لي - قطعة من رفض . انه يرفض ان يقرأ عن المجتمع ثم يأتي ليكتب عنه . فالمجتمع في مجموعته يتراوح بين الحياة

وبين التخدير بين الجفوة وبين الصحوة . لكن الصحوة نادرا ما تظهر . فالواقع هكذا والمطلوب ان ينهض والشبح القادم من اعماق البحر لن يرحم :

حياتنا يا غصتي مصحة بها الطبيب
في لجة التضميد غارق
وينسى الداء والدواء
ويلعب الطرنيب فوق جثة المصير .

لكن .. على المجتمع ان ينهض لانه لا شيء في ازقة الايام مستحيل . فالبحر قريب والموج الثائر لن ينتصر على الفلك مهما ارتفع ما دام الربان يتقنون المهارة ويعرفون اتجاه السمت . يقول في قصيدة كتابة على اديم الفصل الاصفر :

لا شيء في أزقة الايام مستحيل
قد تبصر النملة ما تريد
في غلة خضراء
في الليلة الظلماء فوق صخرة سوداء
وتجتني النملة ما تشاء .

الاسلوب الفني :

مر الشعر بتجربة صعبة ولا يزال من حيث الشكل والمضمون ، لان الموضوع شيء يفرضه الواقع - برأيي - وتفرضه ظروف الحياة .

اما الشكل فهو ضرب من عدم الاستقرار .

ونسأل الآن ما موقع صاحب الشبح ؟

اذا جاز لي التعبير اقول : هو معاصر في موضوعاته اي واقعي . وهو معاصر في فنه ، اي حين يتحدث عن شيء لا ينسى انه يكتب فنا . فلا يسرف في الواقعية التي تقترب من لغة الحديث أو يضرب سهما في الغموض .

لقد اعطى في مجموعته كل اتجاه حقه . وهو يميل الى الرمز بعامة ، ولا يصرح بما يريد . وقد قال العالم اللغوي المشهور ريتشاردز في كتابه فلسفة البلاغة (لعن الله الفن الذي يقول لنا مايريد) .

يقول - على سبيل المثال - في قصيدة حلم على مائدة الرعب :

بالامس حلمت بأن السور تهدم
وتلاشى ببرقه فوق الوحل ، وغاص بكلمة « كان »
وتداعى خوف البرق تحطم
بالامس حلمت
بأن الموج الاسود قد شابت رؤياه تعلثم

ولا يغفل عن البال ان الموسيقى في النص - بحرا وايقاعا - كان لهما دور كبير في اغلب الاستخدامات .

فالاستاذ سعد يكتب الموضوع المعاصر ويلتزم ببحر واحد في القصيدة ويختار كلمات مناسبة فيخرج الايقاع معبرا وخادما للغرض المنشود :

الآمي موسيقا الوعد وأنت
ثلاثة أبيات من شعر
وثلاثة أحلام صيغت من وجع الزهر
وثلاثة أشرعة من قهر

وقبل ان اختم قولي لا بد من ملاحظات حول المجموعة :

أولا - ان مقدرة الاستاذ سعد في استعمال الكلمة جعلها تعود الى اهميتها بعد ان امتهنت كثيرا ، وذلك باعتبار الموضوع والايحاء والايقاع .

ثانيا - الدخول والتزواج والاتحاد مع الكلمة .

ثالثا - المأساة الانسانية التي تمر بها تركت اصابعها الدامية على اغلب قصائد المجموعة .

رابعا - رفض الشاعر سعد للواقع جعله يتصور ويرسم مجتمعا بطله الانسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

خامسا - المجتمع الذي ظهر في المجموعة في اغلبه مريض . وهذا اهم ما يؤخذ على المجموعة . فهي وان صورت الواقع الانساني على حقيقته فانها تبقى قاصرة ما دامت لا تستطيع الالتحام - في بعض الاحيان - مع الخيال الذي يدفع نحو الامام وبتأثير من الواقع .

وأخيرا اذا جاز لي القول لتحديد هوية الشاعر سعد الدين كليب من خلال مجموعته الشبح اقول :

انه شاعر يمتاز ببراعة خلاقة . يضم في مخيلته محصولا فكريا ينبت في مجتمعه ليتخطى العصر نحو رسم مدينة اكثر اصلاحا وتقديرا .

انه ثورة وحل . ثورة في الشكل لانه اعاد للكلمة اهميتها ، وحل لانه فلسف الواقع ووضع اقتراحاته لا كشاعر فحسب بل كفيلسوف تعمق الحقيقة ونشدها

لقد ظهر الاستاذ سعد في مجموعته قوميا وانسانيا يؤمن بالحب ويقترح الاصلاح ، يؤمن بالرباط الاسروي ويرفض الانحلال ، يؤمن بالثورة ويدعو اليها .

وان شاء لي التخمين فانني أقول ، سيكون لهذا الشاعر الشاب شأن في المستقبل القريب والله اعلم .

حلب - كلية الآداب : عبد الله عساف

قصائد مضيئة

في ديوان أحمد علي حسن

نقد وتحليل : مصطفى الخش

لمع نجمه الشعري في منتصف الثلاثينات . كان صديقا لوالدي ثم جعلني صديقه . ومنذ ذلك الحين أخذت شجرة صداقتنا تنمو وتكبر باطراد .

اذكر اني بحت له بعشقي الاول والوحيد لام العيال – زوجتي –وكانت مخطوبة لغيري – فأسرع الى اهدائي قصيدة نشرت عام ١٩٤٣ قال فيها :

واطلي علي من كوة القصر
ترى مؤمنا بحبك صلى
يعبد النار في مجامر خديك
ولكن سواه فيها سيصلى

وبكياسة منقطعة النظير ، خاطبني اديبنا الكبير الشيخ ابراهيم المنذر مداعبا : أي جمال انت فيه ؟. فاجبته باستحياء : القصيدة تعبير عن واقع الحال . وانما اهديت الي لاكون أنا القائل . فابتسم – رحمه الله – وضحك الحاضرون .

من البديهة ان ارد جميل الشعر بالمثل لقد سبق ان تحدثت عن ديوانه ما قبل الاخير « انداء وظلال » ، وليس أشهى على قلبي من ان اكون سباقا في الكتابة عن ديوانه الاخير : « قصائد مضيئة » فلعلي اقوم بقسط ضئيل من واجب نحو اخ عزيز ، اجتاز عتبة الشيخوخة ، واني على اثره من اللاحقين .

لفرط رقته ورهافة حسه اختار الا يثقل على الآخرين ، اذ كتب المقدمة بنفسه ، فكانت أشبه بالمقبلات ، التي تغنيك عما سواها من انواع الطعام .

انه أتانا بتعريف جديد للشعر : « هذا الكلام المعطر ، هو رعشة من رعشات النشوة التي يعيشها الشاعر في اعماق اللاوعي ، بتأثير خفي مجهول وبقدر ما يلامس مشاعر الآخرين ، ويتهامس معها ، يكون جيدا » .

ولا صفة للجودة – عند احد المتكلمين – : « انما هو شيء يقع في النفس عند المميز ، كالفرند في السيف والملاحة في الوجه » .

وفي الختام ، فانه ينحي باللائمة على المتمسكين بالرفض والتغيير الذين يأبون ان يبقى للشعر أي طبيعة خاصة – أي الوزن والنفحة الشعرية ولهؤلاء يشهر سيفه « ان تمسكنا بالشعر العربي الاصيل معناه التمسك بالعروبة الاصيلة وآدابها .ولان وطني هو وطن الجمال ، وامتي هي امة العطاء ، فمن وطني وجماله استوحيت والى أبناء امتي اقدم عطائي » . واحبب بهذا العطاء ، اذا كان القصد خدمة الوطن والعروبة من القواعد الثابتة ، ان الابداع شرط لازب ، لكل عمل ادبي ، فبقدر ما تكون الفكرة عميقة ونفاذة في ابراز الحقيقة – ضالة كل مؤمن – ضمن اطر من الصور الزاهية الجميلة ، لتي تعكس الفكرة ، يكون العمل الادبي جيدا ، والا فلا .

وعلى هذا الاساس يمكنني القول : ان قصيدته الاولى : « حبة قمح تتكلم » خالية من الابداع فالفكرة سطحية والصورة باهتة بالاضافة الى مخالفة المعنى للواقع :

ما هان فلاحي في حقوله   بي يكرم الفلاح والاجير

واين بث الحرارة مما قاله احد الشعراء

« يا لقمة لا نراها   بغير جهد وعناء
ممزوجة بدموع   مجبولة بدماء »

وشتان ما بينهما ! فالحقيقة محجوبة عنده ، ناصعة عند غيره ، بما لا يقاس بغض النظر عن الفارق الكبير بين صدق المعاناة .. لقد قصر كثيرا وكان حريا به ان يكون سباقا ، لانه ابن القرية ومن غير اللائق الا يستشعر شعوره .. ولربما أراد طمس الحقيقة ليكون للعامل والفلاح العزاء ، وهنا الطامة الكبرى !.

على انه اعتلى سلم الجودة في قصيدته : « حديث الارض » . وان لفي هذا الحديث زخم العاطفة أي نارا تتلظى ، مضافا اليها فصاحة التعبير ومتانة السبك . وما أكثر ما يضيع المرء امام عظمة الارض : «منها خلقناكم واليها نعيدكم .. » – قرآن كريم –

ما أضيع الانسان حول ملاعبي
امحو ملامحه هناك واثبت

ثم ان امنا الارض ، وهي كل العطاء :

وأنا العطاء ، ومن كنوزي وحدها
كل الكنوز مجمع ومشتت

وهوى الشاعر في عهد الشيخوخة حديث ذو شجون . ففي قصيدته « معاد » يسكب ذوب عاطفته ، لماضي شبابه الاغر وهو ماض معاد دوما . ولكن اين الثريا من الثرى ؟ وهل يعود الشباب ؟ واي نفع للوجد والغرام . في مطلعها حسرة :

أعود الى الهوى فيعود وجدي
ولكن لا يعود معي شبابي

وفي منتهاها اغتراب :

تركت له وما غنيت أمسي
وعشت لكل ما حمل اغترابي

ولست واجدا لهذا المطلع مثيلا في التفجع سوى مطلع قصيدة فقيدنا العظيم أحمد الصافي الذي عاد ، قبل اعوام الى بغداد أعمى البصر ، بعد غربة دامت اربعين سنة فأنشد يقول :

« يا عودة للدار ما أقساها
اسمع بغداد ولا أراها »

اما عن « مناجاة بدر » فلا ادري ـ وان كنت قد دريت ـ لماذا جعل القمر سرا لا يصل اليه الطرف ، على الرغم من انه لم يعد سرا ، وقد وضع العلماء عصا الترحال على سطحه ، وجلبوا لنا عينيات من ترابه وصخوره ثم انه تحت متناول البصر :

انت يا ساطع سر مبهم الحالة مغلق
لم يصلك الطرف مهما أمعن الطرف وحدق

والجدير بالذكر انه لم يعترف بحادث اكتشافه تفاديا من الوقوع في « ورطة » لا يحمد عقباها ، بالنسبة له .

ولي أن اعاتبه على مقولته :

هات حدثنا عن الحب وعن لوعة احمق

فهل المحب احمق ؟ وماذا أبقى للمحبين والشعراء الغزل وهو واحد منهم ـ من شمائل ؟ اشهد ويشهد معي الشاعر أن الحب زينة الحياة الدنيا . وبئست ضرورة القافية اذا كانت تعاكس المعنى ! وليس ادل على هذه الضرورة من استطراده

عن جنون الحسن لا ابهى من الحسن وآنق

فلا ابهى من الحب ولا آنق من الحسن والجمال! واذن فهل يجوز ان ينعت المحب بالحمق ـ وهو نقيضه ـ ؟.

ولقد ابدع في هذه الصورة :

ضوؤك الضوء الذي اغفى على الحب وأرق

فالاغفاءة والارق ضدان . ولما استجمع الضدان اظهر الواحد حسن الآخر ، حسب رأي احد الشعراء :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

في الجمع بين النقيضين كمال الصورة ! ومع الشعاع الفضي يتألق المحب طربا في حضرة الحبيب ، ولكنه ـ مع الغياب تثور ثائرته ويهيج بلباله وتضطرب جوانحه ، فيأرق اشد الارق . وهيهات ان يغلق عينيه ، وانما يظل ساهرا متجلببا بجلباب السعادة ، كمن يغفو في حلم هنيء .

وبالقياس ، فانه يبدو اكثر تحمسا للشمس (ص ١٣٢) وقد اضفى عليها صفات الحي القيوم الذي يحيي ويميت والذي لا يفنى ولا يموت ، والسرمدي الذي لا أول له ولا آخر . مصداق ذلك ما يخاطب به نور الشمس وكأنه امام مذهب :

انت المدى الازلي مالك آخر
والدائم الابدي مالك أول
تتحول الاشياء عن حالاتها
وكيانك الازلي لا يتحول
يمضي ويقبل كل يوم معشر
وتظل تمضي حيث انت وتقبل

وأي سر في اغفاله للخسوف والكسوف ؟!.

ويعنيني هنا ان اذكر بانه نقل الينا صورة النابغة الذبياني

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

بصورة ازهى واجمل :

ملأ الدجى وجه النجوم وعندما
أطللت من خدر الشروق تسترا

وفي قصيدة « أنا والوطن » اختلطت عليه المشاعر واتشابكت الصور ، وامتزجت الالوان ، فلم يعد بقادر ان يحصيها عددا :

ويزود الانسان من شرف الحياة ومن ومن

ولانه لم يغترب عن وطنه : فقد اغفل سر الحنين اليه . لكنه برع في الخلاص من الموضوع ، فأزجى الوطن خالص حبه وتقديره – على طريقة من يتكلمون في بطونهم – :

وسألته من أنت يا حبي فقال : انا الوطن

وبين العقل والقلب رحى الحرب دائرة . وهكذا فان شاعرنا في قصيدته « عقلي وقلبي » ، قد وفق الى ابراز ميزات كل منهما ، ولا سبيل الا اليهما معا :

العقل برد ودفء ومطلب مستطاع
والقلب وهج وحمى وثورة واندلاع

وللطيش في شعره نصيب ، حيث يغدو فيه المرء اضحوكة للناظرين ، وتزدريه الاعين ، لتخنثه ازاء أي فاتنة لعوب :

ويغدو لعبة خنس غوى تثير هواه فاتنة لعوب

لكن الطيش ، مع القهقهات وعدم الاكتراث ، لن يجدي صاحبه فتيلا امام الكوارث والعقبات :

تقهقه غير مكترث وماذا اذا ماناب الحدث الرهيب

.. ولا يتسع المجال لذكر جملة المواضيع العامة التي ادلى بدلوه فيها ، فهذه المواضيع مطروقة ، وقد سبقه اليها الاولون . وهي احوج ما تكون الى المزيد من توفر الابداع ، اي الاتيان بجديد ، في قالب مستساغ يطابق الصدق الفني في بث الحرارة . ودفعا للالتباس فمعاذ الله ان انتقص من قدر الابداع فيها .

يقول سميح قاسم : « ان العمل الشعري يتحمل مسؤولية ما وهي تحريك المتلقي عاطفيا وذهنيا ، وادخاله الى وضع ذهني ساطع . ولا شك بان العمل الشعري في هذا المعنى يحمل قيمة كبيرة كمحرك وكعنصر ايجابي خلاق في مسيرة الشعوب .

وحسب الشاعر احمد علي حسن انه اعطانا كل ما عنده .. وفي ذلك غاية الجود والكرم . ولنعم ما فعل !!.

مصياف – مصطفى الخش





تأبين

المرحوم الاديب اسماعيل عدره

● في مدينة / سلمية ويوم الجمعة ١٩ حزيران ١٩٨١ الساعة الرابعة بعد الظهر – وفي قاعة المجلس الاعلى – اقيم الحفل التأبيني للمرحوم الشاعر الاديب اسماعيل عدره – مدرس الادب العربي في ثانويات المدينة . وقد تضمن البرنامج الآتي :

● كلمة المجلس الاعلى
● كلمة اتحاد الكتاب العرب ألقاها الشاعر الاستاذ سعيد قندقجي .
● كلمة نقابة المعلمين
● قصيدة الشاعر محمد منذر لطفي
● كلمة مجلة الثقافة القاها ارتجالا صاحب المجلة ورئيس تحريرها المسؤول الاستاذ الشاعر / مدحة عكاش /
● قصيدة صديق الطفولة والشباب للشاعر اسماعيل عامود
● كلمة طلاب الفقيد القاها بالنيابة الاديب اديب ديوب .
● كلمة الطالبات ألقتها الآنسة / هيفاء اسد
● قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ انور الجندي .
● كلمة الدكتور الاديب الشاعر عارف تامر .
● كلمة آل الفقيد القاها نجل المرحوم هشام عدره
● عريف الحفل الكبير هذا كان الاستاذ البحاثة محمود أمين .
● هذا وستقوم دار مجلة الثقافة باصدار ملف خاص عن الحفل مع نبذة عن حياة الفقيد ونشاطه الشعري والادبي وذلك ضمن اعداداتها الشهرية القادمة .

* * *

● جائزة دولية للشاعر احمد سليمان الاحمد ●

منحت جائزة / خريستوف بوتيف / الدولية في صوفيا الى الشاعر والاديب والمترجم السوري الدكتور احمد سليمان الاحمد .

وقد منحت هذه الجائزة للسيد الاحمد لاعماله الادبية ولرصيده في نشر الادب البلغاري في اوساط الشعب العربي .

واعرب السيد الاحمد عن سعادته الكبيرة لنيل هذه الجائزة وقال انها دليل الاحترام ليس لي فقط بل الى سورية والعرب جميعا .

الجدير بالذكر ان معظم الادب البلغاري الذي ترجم الى العربية ونشر بكتب في سورية انما تولته ادارة هذه المجلة ومن بينها بعض الكتب التي ترجمها الشاعر الاحمد .

* * *

● اسبوع ثقافي سوري في تونس ●

افتتح بالعاصمة التونسية الاسبوع الثقافي العربي السوري .

وقام السيدان البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي واديب اللجمي معاون وزيرة الثقافة في القطر العربي السوري بافتتاح هذا الاسبوع .

وتضمن هذا الاسبوع افتتاح معرض الكتاب العربي والفنون التشكيلية كما قدمت فرقة امية للفنون المسرحية عروضها خلال الاسبوع .

● الشاعر الكبير سليمان العيسى ●

وكتاب دفتر النثر

* صدر عن اتحاد الكتاب العرب مؤخرا كتاب / دفتر النثر / للشاعر المعروف سليمان العيسى يجمع فيه الخاطرة والفكرة والحوار والقصة مما كتبه ونشره في الصحف والمجلات .

يبدأ الشاعر كتابه بالحديث عن تجربته الشعرية مع الاطفال التي بدأت في اعقاب – نكسة حزيران – وامنيته في اقامة منشآت ومؤسسات ثقافية للاطفال وفرق كورال تسهم في انتشار الشعر العربي بين الجمهور .

ويورد المؤلف قصصا واحاديث من رحلة العمر مع الطفولة وكبار الشعراء العرب والاجانب والقديم والحديث والابداع العربي والعالمي ومن قراءاته ومشاهداته ومشاركته في الاحداث والمناسبات الوطنية والقومية .

مختارات من القصص العربية

تترجم الى الانكليزية

* اختار الكاتب العراقي « شجـــاع العاني » مجموعة من القصص العربية لترجمتها الى اللغـة الانكليزية وضمت ثلاث قصص من العراق وهي : « الارنب » و « الغراب » لفـؤاد تكرلي « المملكـة السوداء » لمحمد خضر . بالاضافة الى قصص لزكريا تامر وعادل ابو شنب وعبد السلام العجيلي مـــن سورية . ويوسف الشاروني ويحيى الطاهر عبدالله وابراهيم اصلان من مصر ، ومحمد زفزاف مــن المغرب ، واميل حبيبي وسميرة عزام من فلسطين ، والطيب صالح من السودان .

* * *

احصائيات ثقافية في حلب

* بلغ عـــدد المطالعين الذين اموا دار الكتب الوطنية خلال شهري نيسان وايار الماضيين ثمانية آلاف مواطن .

وذكر مصدر مسؤول في المركز الثقافي العربي ان عدد الكتب المعارة الى خارج المركز خلال نفس الفترة بلغ مائتين وخمسين كتابا في حين بلغ عدد المطالعين الذين أموا مكتبة المركز الثقافي العربي احد عشر ألف مواطن بينما بلغ عدد رواد قاعة المطالعة للاطفـــال في المركز مائتي طفل .

وأضاف المصدر أن الوحدات الثقافية المتنقلة التابعة للمركز قامت خلال الشهرين الماضيين بزيارة حـوالي ٧٠٠ قرية في ريف المحافظة اعارت خلالها اكثر مــن ستة آلاف كتاب .

* * *

مهرجان عالمي للشعر في المكسيك

يعقد في المكسيك مهرجان عالمي للشعر . ويشارك في المهرجان : رافائيــل البرتي ــ نيقولاس غوبين ــ ارنستو كاردينال ــ ستيسلاف ميلوزي (الحائز مؤخرا على جائزة نوبل للآداب) وغيرهم .

يلقي كل شاعر قصيدته باللغة الام فتترجم فـورا الى الاسبانية وستقوم اللجنة المنمة للمهرجان بطباعة وتوزيع القصائد ضمن كتيبات وعلى اسطوانات بحيث توزع عالميا .

كتب جديدة في المكتبة العربية

* من المعروف في المكتبة العربية ان الكتب الجادة الرصينة لاتطبع اكثر من مرتين . الخبر الجديد انه صدر مؤخرا عن دار دمشق للطباعة والنشر الطبعة الخامسة من كتاب : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط للدكتور طيب تيزيني . يقع الكتاب في حدود ٤١٤ صفحة من الحجم المتوسط . يأمل المؤلف من كتابه ــ في طبعته الجديدة ــ خلق مزيد من الحوار الفلسفي التاريخي العربي ضمن افق ناهض وابعاد اكثر رحابة .

* كما صدر عن نفس دار النشر المذكورة رواية جديدة للكاتبة الصينية « لي جو تنغ » اسمهـــا « ميليشياء نساء الجزيرة » وقد ترجمها للعربيـة السيد حنا عبود تقدم هذه القصة لوحتين : الاولى للحياة في مجتمع اقطاعي يقوم نظامه على الاستغـلال واللوحة الثانية التي اعقبت المجتمع القديم .

* صدر عن دار الحقائق في بيروت كتاب « افريقيا والعرب » للدكتور امين اسبر احد الاخصائيين بالقضايا الافريقية . يقع الكتاب في ٢٠٥ صفحات من الحجـم المتوسط وهو يعتبر اول مرجع وثائقي في موضوعه .

* * *

أمير العصافير

قصص موجهة للاطفال لوليد زهدي

امير العصافير هو عنوان المجموعة القصصيـة الموجهة للاطفال ، والتي ستصدر قريبا للاديب وليد زهدي ، وتضم قصص كتبت باسلوب رشيق وبقالب تربوي محبب .

* * *

زهير غزاوي و / القرار

للقاص الاديب الاستاذ زهير غزاوي مجموعـة قصصية ــ متقدمة ــ بعنوان (القرار) وهي مجموعته الاولى . وقد صدرت حديثا عن دار ابن راشد تضم عشر قصص قصيرة .

* * *

الحيـاة تبدأ غدا

تأليف / حسين ورور

دراما تلفزيونية من تأليف الكاتب حسين ورور أعد لها السيناريو الاديب عبد العزيز هلال ويسجلهـا التلفزيون العربي السوري . المخرج محمد الشليان .

التراث

المعري ذلك المجهول

* صدر في بيروت مؤخرا عن الدار الاهلية للطباعة والنشر والتوزيع كتاب (المعري ذلك المجهول : رحلة في فكره وعالمه النفسي) للدكتور عبد الله العلايلي ، في طبعة جديدة منقحة تقع في نحو مائتي صفحة – من القطع المتوسط .

سبق لدار مجلة الاديب البيروتية ان اصدرت هذا المؤلف في اوائل الاربعينات .

* * *

٢٨ ألف صورة عن بلاد الشام

* في المتحف السامي التابع لجامعة هارفرد الامريكية تم العثور مصادفة على ٢٨ ألف صورة فوتوغرافية لمختلف نواحي الحياة في بلاد الشام قبل قرن من الزمن .

وتكمن أهمية هذه الصور في انها تعتبر اكبر واقدم ما عثر عليه حتى الآن من صور تتعلق بتاريخ المنطقة .

* * *

تمثال لابن سينا في بخارى

* تستعد مدينة بخارى بجمهورية اوزبكستان السوفيتية للذكرى الالفية لميلاد ابن سينا ، ففي مدينة طاشقند العاصمة الاوزبكستية جرى طبع المجلد الاول من الكتاب الثالث ووضع تحت الطبع المجلد الثاني من الكتاب الثالث وكذلك الكتابين الرابع والخامس من مؤلفات ابن سينا وهو المعروف ب « القانون في الطب » أو ما عرفه العرب أحيانا باسم « شفاء النفس » وفي مدينة افشنة ، مسقط رأس العالم الكبير اقيمت مزرعة تعاونية تحمل اسم – ابو علي بن سينا – وافتتح في بخارى ذاتها متحف تضمن صور المواد والوثائق والنماذج المصغرة المكرسة له في المتحف المحلي ، ويجري تجميل الساحة الواقعة أمام ضريحه .

وقد انتهت ايضا مسابقة صنع أفضل تمثال للعالم العظيم وسيوضع في أكبر ساحات مدينة بخارى .

* * *

القواعد والفوائد

* عن جمعية منتدى الشعر صدر – حديثا – في النجف الاشرف كتاب « القواعد والفوائد » للامام ابي عبد الله العاملي المعروف بالشهيد الاول .

الكتاب من تحقيق وتقديم وشرح الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم ، ويقع في قسمين كبيرين عدد صفحاتهما نحو من ثمانمائة صفحة – من القطع الكبير .

* * *

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع

* عن دار البحوث العلمية – صدر في الكويت مؤخرا – كتاب (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) للامام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ كاملا في سبعة اجزاء محققة مشروحة بعناية الدكتور عبد العال سالم مكرم استاذ الدراسات النحوية بكلية الآداب بجامعة الكويت وتعضيد جامعة الكويت .

* * *

تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي

* ضمن سلسلة (الموسوعة الصغيرة) أصدرت وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، ودار الجاحظ للطباعة والتوزيع ، في بغداد مؤخرا كتابا جديدا ، للاستاذ عبد الجبار ناجي يتناول – بالتاريخ والدراسة والتحليل موضوع (تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي) .

زاد المعاد في هدى خير العباد

* عن مكتبة المنار الاسلامية ومؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – صدر في بيروت مؤخرا الجزء الخامس من كتاب « زاد المعاد في هدى خير العباد » لابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي « المتوفى سنة ٧٥١ هـ » .

حقق نصوص هذا الجزء وخرج احاديثه وعلق عليها – الاستاذان شعيب الارناؤوط ، وعبد القادر الارناؤوط .